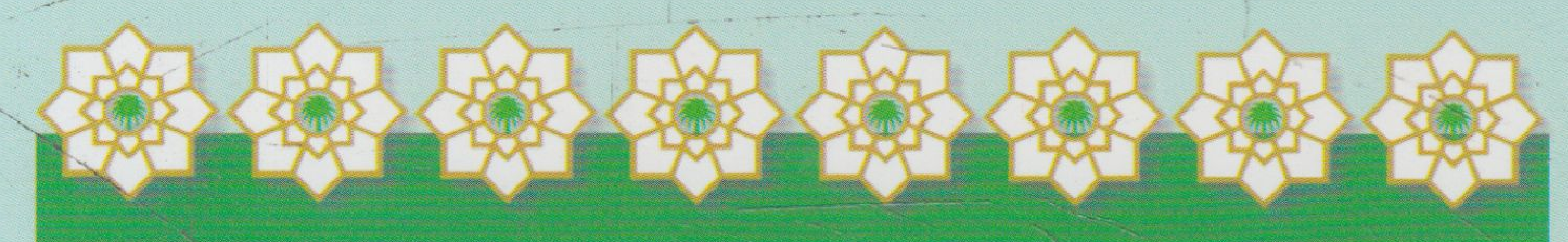


مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري



قصائد مختارة

للشاعر إبراهيم العريض



قام بالاختيار

منصور محمد سرحان

وقدم له

د. ثريا العريض



قصائد مختارة

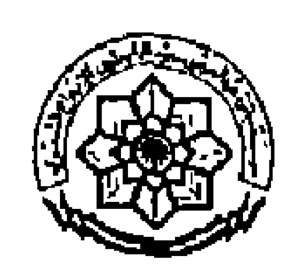
للشاعر إبراهيم العريض

قام بالاختيار

منصور محمد سرحان

وقدم له

د.ثريا العريض



أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعه الباحث
بمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

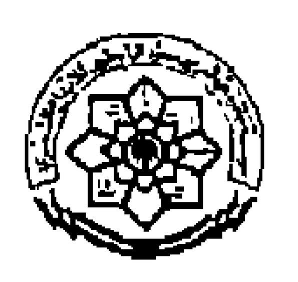
مـــاجـــد الحـكواتـي

الصف والإخراج والتنفيذ

محـمـد العـلـي

أحـمـد مـتـولي   أحـمـد جـاسـم

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة



مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

تلفون: 2430514 **فاكس:** 2455039 (00965)

E-mail < babtainprize@hotmail.com >

2 0 0 2

تصدير..

«الحياة في الشعر»

مع إبراهيم العريض وجيله من الشعراء الذين بدأت أصواتهم الشعرية تبرز في مطلع الثلاثينات من القرن الماضي يأخذ الشعر منحىً جديداً بعد فتح النوافذ لرياح العالم الثقافية وعواصفه، يتحرّر الشعر من المناسبات التي كانت تثقل كاهله وتجعله خاضعاً للأعراف الاجتماعية والثقافية، ومن كونه حرفة ومهنة، ليصبح موقفاً من الذات والعالم، وهَوَساً يتلبّس نفس الشاعر، ويتغلغل في كيانه، لم يعد الشعر وثيقة لغوية فقط، ولا وثيقة تاريخية فقط، ولا وثيقة اجتماعية فقط، بل أصبح مرآة لنفس الشاعر أولاً في مواجهتها للعالم، أصبح صورة للحياة وقد تحولت إلى حلم، الحياة في أسرارها وجذورها لا في صورتها المألوفة والجاهزة، ومن هنا تكتسب اللغة قيمتها ودورها، وبعد أن كان الشعر يقف خارج النفس ويُستدعى عند الحاجة لأداء واجب اجتماعي وفق مقاييس معينة ويسير هادئاً متزناً نحو هدفه، أصبح الشعر حالة نفسية، وعاصفة تهدم في طريقها كل علامات الطريق، وتنطلق في رحاب جديدة قد تفاجئ الشاعر نفسه، أصبح الشعر هو الشاعر بعد أن كان الشعر رديفاً للشاعر.

عاش إبراهيم العريض طفولته وفتوته في الهند بعيداً عن لغته الأم وتراثه الشعري، وهناك تأسس وعيه الثقافي أولاً، ومن هذه المرحلة اكتسب إبراهيم انفتاحاً على ثقافات العالم، وحين استقر في وطنه بدأت رحلته مع اللغة العربية والتراث الأدبي القومي، وتمكن في فترة قصيرة أن يتجذّر في اللغة والتراث وأن يسيطر على الأدوات اللازمة للقول الشعري.

وبهذا الانفتاح الذي عرفه إبراهيم على الآخر الثقافي، لم يكرر المشهد الشعري في البحرين بل حاول أن يتجاوزه ويؤسس لمستوىً جديد وتحرير الشعر من رواسب الخطاب الشعري، يخرج بالشعر من عباءة التراث والنسج على منواله، أي من كونه حالة لغوية بيانية ويدخل إلى النفس البشرية بكل أغوارها وأحلامها وصبواتها،

ليصبح حالة إنسانية تقتنص اللغة المناسبة، وبذلك قلبت المعادلة الشعرية رأساً على عقب، وبعد أن كان تقف على رأسها أصبحت تقف على قدميها، اللغة والعبارة تخضع لأحوال النفس، ولا تُصبّ النفس في قوالب اللغة الجاهزة، وبذلك أحدث إبراهيم العريض وجيله انطلاقة في الروح الشعرية، وفي العبارة الشعرية، وكانوا تمهيداً لانطلاقة أوسع قام بها الجيل التالي لهم من الشعراء.

وظلّ إبراهيم العريض خلال ثمانية عقود يعيش للشعر وفي الشعر، وخلال هذه المدة الطويلة أخرج العديد من الدواوين والقصص والمسرحيات الشعرية، وقدم إضاءات نقدية مهمة للتراث الشعري، وحين قررت المؤسسة تكريم هذه النخلة الشعرية الشامخة (إبراهيم العريض) قبل وفاته بقليل فإنما كانت تكرّم فيه، هذا الإخلاص لفن الشعر، وهذا الدأب الصبور على تسجيل الموقف الشجاع في محراب الشعر.

وإذا كان إبراهيم العريض قد غادرنا قبل أسابيع من حفل تكريمه، فإن ما خلّفه لنا من إبداع يبقيه معنا على الدوام، وهذه المختارات الشعرية التي أُخذت من مختلف المراحل التي مرّ بها الشاعر ليست مجرد أقوال شعرية بل هي أقباس من روح الشاعر، وفِلَذ من نفسه، وهي تجعلنا على الدوام نقدّر المعاناة التي عاشها الشاعر لكي يمتع نفوسنا ويضيء لها مسالك الحياة الملتوية.

تحية للشاعر إبراهيم العريض في عالمه العلوي، ودعاء له من القلب بالرحمة والغفران.

والحمد لله من قبل ومن بعد،،

رئيس مجلس الأمناء

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في ٧ من رجب ١٤٢٣ هـ.

الموافق ١٤ من سبتمبر ٢٠٠٢م.

شهادة في الأستاذ

شعرت بالكثير من التردد حين طلب مني الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين أن أكتب دراسة تتصدر الكتاب الذي قررت « مؤسسة البابطين» إصداره بمناسبة الاحتفال بنيل الأستاذ إبراهيم العريّض لجائزتها التكريمية.

و شعرت أيضاً بالكثير من الفخر.

رأيت في ذلك الطلب امتحاناً وشهادة لي شخصياً.

وهي شهادة تحمّلني الكثير من المسؤولية أمام مؤسسة البابطين وأمام القارئ وأمام محبّي «الأستاذ» ...

والحق يقال هي شهادة تاريخية في رجل غير اعتيادي ولذلك تدخل في تصنيف المسؤولية الأدبية تجاهه وتجاه الحقيقة.

فالأستاذ عملاق في كلّ أبعاده و تفاصيله، كنت حظيظة أن عرفته عن قرب في أخص خصوصياته وحميمياته ، فتحت عيني على الدنيا لأجد حضوره شاهقاً حولي.

و لم يكن حضوره عابراً في حياتي بل متجذراً في كياني مادياً ومعنوياً.

رجلٌ شاركني طفولتي، فعانق فيَّ بعض أحلامه، وبارك بعض طموحاتي الصغيرة، وسعد معي بتحقق بعضها.

رجلٌ كان يسميني في طفولتي شمعته، وفي صباي تميمته، وفي أيام تعذر حركته نافذته على عالم الأدب و تفاعلاته.

رجلٌ شاركني بعض ذكرياته الحميمة عن طفولته وصباه، وبعض أحلامه وبعض إحباطاته.

رجلٌ ظل يثيرني اتساع آفاقه الخاصة، ويذهلني ثراء مكونات عالمه الخاص، ويملؤني طمأنينة حبه للغير، ويملؤني فخراً إعجاب الآخرين به وحبهم له، ويضحكني عجز البعض عن فهم هذا الحب وهذا الإعجاب.

رجلٌ أعرفه جيداً..

رجل أحببته كثيراً بكل خصوصياته و تفرده.

ومع المعرفة ازداد حبي واحترامي له، لأنه رجلٌ يستحق الحب والاحترام.

رجلٌ أجبرني تميزه أن أكون متحيزة له..

و أن أومن أنني على حق في هذا التحيز..

هكذا جاء قراري بقبول الطلب.

أشكر عبد العزيز البابطين على هذه الثقة التي أولاني إياها.

و لابد أن أعترف أنني وأنا أشرع في كتابة هذه الشهادة لا أعرف بعد كيف ستبدأ ولا كيف ستنتهي.

فالأستاذ هو الاسم الذي عرف به أبناء البحرين و الخليج إبراهيم العريض خلال عمر حافل بالعطاء امتد لسبعة عقود.

و«الأستاذ» هو أيضاً والدي ..

مما يضعني في موقف متعدد الضغوط.

و بقدر عمق علاقتي مع والدي، رحمه الله، وتعدد روافدها ومساراتها إلا أنني أجد نفسي عاجزة عن إجابة السؤال البسيط: ماذا اقول وهل سأستطيع أن أغطي المساحات المترامية الأطراف لعالم هذا الرجل الفذ ؟ .

ثم بعد هذا جاء إدراك ما هو أصعب..

تساؤلات ذاتية تُولِّد الشك حول قدرة تحقيق ما طُلب مني.

و عن مسؤوليتي أمام القارئ.

ليس من السهل، ومع توخِّي أقصى حد من الموضوعية والدقة، أن تكتب عن الغير مختزلاً إياه ومنجزاته في إطار الكلمات.

فكيف حين ذاك الغير هو قريب حميم، بل قريب غالٍ تود ألا تغمطه حقه في إضاءة منجزاته وتميزاته وإبرازها بأقصى ما تستطيع من الإخلاص و الصدق، مما يجعل الموضوعية التزاماً عسيراً؛ ألن تتضاعف خيانة الاختزال بخيانة تداخلات المعرفة الحميمة والعواطف الفردية؟

ثم .. حين ذاك الذي تكتب عنه ليس حالةً عادية يكفي فيها استعراض أفعاله، بل هو حالةٌ مميزة، وريادة مشهود لها على أكثر من جبهة، كيف ستقيّم إنجازات من إنجازاته تأتي فوق مقاييسك للتقييم العام ؟

رجلٌ مثل إبراهيم العريض أصبح رمزاً من رموز التجديد والإضافة في الحركة الأدبية العربية خلال قرن من العطاء الفردي المتميز، ورمزاً من رموز التطوير المجتمعي.. كيف حقق ذلك ؟

كيف وهو يرفع لواء الدعوة إلى تجنيد الطاقات الذاتية في البناء لا الهدم.. والتحفيز، لا البكاء على الأطلال.. والتحليق إلى آفاق الريادة العلمية والثقافية، لا تثبيت النظرة على ما كان ؛ كيف استطاع أن يوصل رسالته تلك إلى مجال استيعاب مجتمعه؟ كيف لم ير في ذلك مهمة مستحيلة في بدايات القرن المنصرم حين كان المجتمع الخليجي لا يزال مجتمعاً يتوجس من المجددين، ويشكك في مرجعية المطالبين بالتفكير، ويحارب التغيير ويطالب رموزه بمثالية الوفاء للماضي إلى حد التحجر؟

ماذا أقول عن إبراهيم العريض المثقف العربي، بصفتي أحد نتاجات هذا القرن بكل تلابساته ؟ و كيف أرى دور إبراهيم العريض فيه؟

ماذا أقول عن إبراهيم العريض بصفتي امرأة عاشت هذه الفترة الملتبسة في عمر مجتمعنا العربي الخليجي المسلم متخبطاً بين راحة الجهل وتحديات التنوير و ادعاءات العرف، وصراعات التقييد والانعتاق.

وماذا أقول عن إبراهيم العريض بصفتي إحدى بناته وعن دوره في بنائي العاطفي والثقافي؟

و لو لم أكن ابنته بل مجرد إنسانة تقاطعت خطاها مع خطاه في دروب الحياة فماذا سأقول عن إبراهيم العريض الذي يعتز أصدقاؤه بصداقته، ومعارفه بمعرفته في محيطه الحميم والبعيد القصي؟ وعن إبراهيم العريض الذي ظل محتفظاً بصفاء روحه الطفولية ، ووفياً لكل من أحب ؟

و لو كنت مجرد متذوقة للإبداع، ماذا أقول عن إبراهيم العريض الفنان الذي أحب الموسيقى وعشق الرسم؟

ماذا أقول عن إبراهيم العريض الشاعر الذي لم تشغله قشور اللغة و قيود شكلياتها عن روح الشعر، حتى كتب الشعر بعدة لغات وأحسن في كل منها؟

و عن إبراهيم العريض الذي كتب المسرحية التاريخية والدرامية شعراً فأبدع في الحالتين؟

وعن إبراهيم العريض الناقد الذي لم يشدّ اهتمامه غير إنجازات من بلغت شواردهم القمة وأثارت عواصف التساؤل والرفض مثل الخيام و المتنبي ؟

ثم .. ماذا عن ذلك الجانب منه الذي لا يقاس بعدد القصائد والدواوين منه، أو المطبوعات والأطروحات عنه ؟

ماذا سأقول عن إبراهيم العريض، الفنان الأعمق تواصلاً مع آيات الخلق الرباني وروائع إلهامه للفن الإنساني؟

و عن إبراهيم العريض الإنسان الذي سبر وشائج الإنسانية، واحترم جوهره ؟

وعن إبراهيم العريض المثقف الذي عبر برازخ الحضارة الإنسانية؟

وعن إبراهيم العريض الذي فهم جوهر الإيمان بالله، والانتماء إلى الإسلام وتعاليمه؟

وعن إبراهيم العريض العربي المؤمن بالأمة والقومية؟

هل أستطيع أن أجمع هذا كله في كلمة أو دراسة محدودة؟

ثم.. هل أستطيع الالتزام بالموضوعية التي فرضتها على نفسي، وتجنب شراك الانفعالية والميول الفردية و إغراءات التحيز لرجل أحبه؟

مؤسسة البابطين مؤسسة محترمة أحمل لها الكثير من التقدير لتميز مشاريعها الثقافية.

وأبو سعود رجلٌ له معزته واحترامه الخاص

والطلب منه غال ..

ثم هو طلب يختص بوالدي .. و أنا فتاة بأبيها معجبة.. فهل أستطيع أن أعتذر عن هذا الطلب؟

كان والدي يقول دائماً : « إن المبدع شاهد على عصره ».

وتلك المسؤولية؛ مسؤولية الشهادة على واقع العصر كانت تمثل له التزاماً غير هين. ما كان يلقي الكلمات و لا يعلن الشهادات جزافاً.

و ها أنا أتذكر ذلك وأنا أقف في موقف الشاهد ليس على العصر فقط بل وعلى الأستاذ.

ليس من السهل أن تكون موضع ثقة أن باستطاعتك الكتابة، وبأمانة، عن موضوع شاسع الأطراف حول رجل له موقعه وأهميته في تاريخنا الثقافي والأدبي، وأن تكتب ما يشد القارئ للمتابعة في خضم ما ازدحمت به الساحة من عروض وتغطيات لإنجازات إبراهيم العريض.

موقف غير هين.

لستُ كاتبة محترفة بل عاشقة للكتابة. ولو طلب أبو سعود ناقداً محترفاً لوجد الكثيرين يتسابقون للاستجابة لطلبه، ولهم الفخر. نعم الطالب والموضوع.

قلتُ :

ألبي الطلب على أن يكون ما أقدم مادة ذاتية تستمد محتواها من ذاكرتي الشخصية وحواراتي مع الوالد على مدى العمر، وأن تكون انطباعية لا تستمد قيمتها من انتمائها إلى مدرسة تحليلية بعينها، وستكون بالتالي متفردة بين تلك المتوفرة أو المتوقعة من أي ناقد أدبي لشاعر أو مبدع، أو أي رصد سابق تم عن إنجازات والدي شعراً أو نثراً.

شعلة الإبداع وشموع التذوق:

لنضع الأمور في نصابها الصحيح ..

لست ناقدة أدبية بل متذوقة للفن والأدب.

ولست هنا لأقيم شعر « الأستاذ» بل الأقرب أنني أرسم معالم تأثيره في حياتي بما في ذلك بنائي الأدبي وذائقتي في الفن والإبداع . فمنه جاءت منابع روافدي الأولى. ولا أشك أن رؤيته العميقة والشمولية لما هو الفن وما هو الإبداع وما هي الريادة شكلت نظرتي إلى هذه الأبعاد. كما لا أشك أن نظرته المتحضرة إلى المرأة وإيمانه بقدرتها شكلت في النهاية كل ما أنا اليوم.

ولقد بدأت رحلة التذوق هذه، طفلة تتشبث بكف والدها وهو يصطحبها معه في مشاويره حين يلتقي بأصحابه ورفاقه من الأدباء والمثقفين داخل البلاد أو في أسفاره في الخارج، وتنصت صامتة لحواره معهم . وكم كانت محاورات غنية ومثرية حول ما يعنيه الإبداع والفن. تلك كانت مؤشرات أضاءت لي كصبية درب تقدير الإبداع وتذوق الفن.

تعلمت من الإصغاء لتلك المناقشات كل ما أعرفه عن عالم الإبداع :

أن الفن الصادق يحمل رسالة هي جزء لا يتجزأ منه ..

وأن الإبداع الحقيقي يفرض نفسه دون لجوء للمقويات والمبررات الداعمة..

وأن أهم امتحان هو امتحان الزمن.

وامتحان الزمن يفرض قدرة عبور المتغيرات المرحلية والبقاء على تواصل حيوي مع احتياجات المرحلة.

أي أن الفنان الحقيقي لا تموت قدرته على الإبداع لأنه في تواصل مستمر مع تطور الوجود من حوله منذ الأزل وحتى الأبد.

ربما صقل ذائقتي فيما بعد عبوري في تطورات القصيدة العربية من مرحلة سيادة العمود الخليلي إلى مرحلة كفاح قصيدة النثر للتجذر بالرغم من أعاصير رياح الرفض المجتمعي.

ولكن ذلك لا يرفعني من مستوى التذوق تقبلاً أو رفضاً إلى مستوى إلقاء الأحكام بأفضلية هذا أو تلك.

الآن، كشاهدة ، أستطيع أن أقول إن «الأستاذ» في فنه ورؤيته للإبداع تآخى مع استمرارية الوجود ومتغيرات الزمن، ولم يخضع لعوامل الركود حتى في آخر أيامه.

عملاق في أرجوحة الظلال :

اكتشفتُ ذات يوم طفولي أن ذلك الرجل العملاق - الذي يعيش معنا في البيت، وتطالبنا أمي بالهدوء والتوقف عن العبث والشقاوة حالما يدخل المنزل- ، يغمغم بهمهمات موسيقية حين يكتب .

سألتُ أمي عن ذلك..

سألتها إن كان يغني بصوت منخفض فضحكت وهي تجيب « لا ».

وأضافت بصوت يحمل الكثير من الفخر أنه يكتب «الشعر». لكنها لا تستطيع أن تعرف لي ما هو « الشعر ».

أمي نفسها كانت تدندن بالأغنيات الخليجية وهي تؤدي أعمال المنزل، وكان لها صوت جميل وضحكة أجمل تذكرني برنين أجراس موسيقية، ولكنها لم تكن تعرف إجابات كل الأسئلة التي كونت أراجيح طفولتي .

هو كان لا يعرف الإجابات كلها فقط بل ويشاركني متعة الوصول إليها.

الآن ربما لو اختصرت ملايين التفاصيل في ذاكرتي عن والدي لرسمته طفلاً عملاقاً في أرجوحة التأمل بين اللغة والفكر ينسق بينهما بإيقاع عاطفي ليأتي الناتج فناً خالصاً. أو ربما اختزلته إلى روح شاعر وأنامل فنان تعود قصائده لوحاتٍ ملونة مضيئة بحيوية الوجود في عالم شاسع التفاعلات.

كانت اللغة، أي لغة يقاربها، خامة فنية غنية يصوغ منها تلك االلوحات. وكانت المشاعر والإنجازات الإنسانية محور اهتمامه سواء كان ذلك الإنجاز فناً مرئياً أومسموعاً أو فكراً علمياً.

ولست في تصوري هذا بعيدة عن حقيقته الجذرية أو أشط في الخيال فهو فنان ورسام فعلاً .. بدأ في طفولته بالرسم وأبدع فيه حتى نال الرتبة الأولى على دفعته في القارة الهندية كلها . ثم تحول عن الرسم إلى الشعر فأصبح يرسم بالكلمات.

بل ويتقن عدة لغات تعرف إليها قبل أن يعود إلى لغته الأم ليتعلمها وهو صبي يافع.

وقد ورثنا عنه أنا وأخي وأخواتي هذا الميل للرسم وللغة .

أما لماذا كان يدرس في الهند وهو العربي من الخليج اصلاً وفرعاً فهي حكاية سأعود إلى تفاصيلها في ما بعد.

ربما كان وجود ظل أبي شامخاً في كل موقع أجد نفسي فيه هو أول وعي لي بانتمائي العائلي بعد حنان أمي ورقة الوجود الأخوي لشقيقاتي كرفيف أجنحة فراشات في سرب. أما ظل أبي فكان شيئاً آخر له إحساس الصلابة والثقة ويحمل معه الطمأنينة والأمن وشعور غامض بالعز والافتخار .

فتحت عيني على سؤال يتكرر أينما ذهبت حالما يعلمون أن اسمي العائلي هو العريض : هل تقربين للشاعر إبراهيم العريض؟

ولم أكن في البداية أعرف ماذا تعني كلمة « الشاعر» ولكني كنت أعرف اسم أبي فأرد بالإيجاب. وأستغرب بيني وبين نفسي لماذا يسألونني عن أبي ولا يسألون رفيقاتي عن أقربائهن.

كان أول ما نشر والدي من الشعر العربي ديوان « الذكرى» عام ١٩٣١ وتلاه «وا معتصماه» و« بين الدولتين» وهما مسرحيتان شعريتان بمواضيع تاريخية كتبهما ليمثلهما على المسرح طلاب مدرسته الخاصة كجزء من المنهج الدراسي المتطور الذي اختاره للمدرسة.

وقد أسف فيما بعد على التسرع في نشره ديوان « الذكرى» حيث لم ير قصائده ارتقت إلى مستوى يؤهلها للنشر.

هكذا منذ البدء كان الشاعر والناقد يتعايشان في إبراهيم العريض وكان كناقد مثله كمعلم شديد التدقيق لا يتقبل الخطأ أو الضعف.

ولم يكن يجامل في تقييمه أحداً وربما ذلك ما أخافني من النشر، فظللت أحتفظ بشعري لإطلاع صديقاتي الحميمات فقط، هذا ما نصحني ألا أتعجل النشر لكي لا أندم على قرار متسرع يستبق نضج التجربة، وهي نصيحة شكرته عليها كثيراً حين وعيت أبعادها لاحقاً.

وظل دائماً مصراً على حسن الإنجاز لا جني الثمار الفجة.

بعد « الذكرى» تتابعت مجموعاته الشعرية : «العرائس» ٤٦ و« قبلتان» ,٥٠ و«أرض الشهداء» ٥٢ و«شموع»٥٦ وآخرها « يا أنت» ,٩٨ وله أيضاً ترجمة الخيام وديوان باللغة الأردية «جلبهاري»، وقصائد باللغة الإنجليزية. أما طروحاته النقدية فأهمها دراسته المتعمقة عن المتنبي «المتنبي بعد ألف عام»، و« اللمسات الفنية لدى الخيام» ثم دراسته المقارنة لترجمات الخيام . كما أذكر دراساته للشعر الحديث وربما كان أهمها « كلمة أن لها أن تقال» التي تناول فيها حركة الحداثة الشعرية وقصيدة النثر .

أبي من شعراء القصيدة العمودية، وقد ظل وفياً لها، وإن كانت له في قصائده بصمته الخاصة التي تفرد بها شعره عن مجايليه ومن سبقوه. ولم يمنعه ذلك من تذوق الأجناس والأساليب الأخرى للشعر، فقد تعدى مستوى تقبل ما يجد هو نفسه راحته فيه إلى مستوى أرقى يتقبل أي فن مميز أينما جاء . وقد مررت ببعض ما عايشه أبي من تطورات الشعر العربي الحديث من منعطف المهجريين حتى تأثيرات «تي اس إليوت» بعد تحدي نازك الملائكة للعمود الشعري المعتمد، وتجديدات بدر شاكر السياب، وانتقلت إلى مرحلة الانبهار بنزار قباني وظهور شعر المقاومة، وتوجعات أمل دنقل وتفرد محمود درويش.

وقد ظل لوالدي منذ البداية اطلاع على الشعراء المجددين وإبداعاتهم، وعلى اتصال مباشر بل وصداقة شخصية مع كثيرين منهم، وصل بعضهم إلى التميز بصيغهم الخاصة منهم: نازك الملائكة، وبلند الحيدري، ونزار قباني، لا بسبيل الحصر بل مثالاً فقط.

وقد كنت في البداية أقرب إلى تذوق الشعر مني إلى تفهم رؤيته النقدية وطروحاته حول الشعر وعلاقته باللغة التعبيرية والفن بشكل عام. وقد حفظت بعض قصائده عن ظهر قلب على الرغم من طولها. وأستطيع الآن أن أرسم صورة لتطور التعبير الفني عنده، وهو تطور ظل وفياً لإيمانه الجذري أن الفن لا يأتي افتعالاً شكلياً ولا انشغالاً بالصنعة بل هو دائماً تعبير صادق عن الحياة واحتفاء بها .

وأنا كشاعرة أنتمي إلى جيل غير جيل أبي، ولكنني تعلمت منه الحوار مع كل الأجيال، إلا التي لا تحاور إلا من منطلق ترسيخ نفسها وإلغاء الآخرين .. أو تلك التي تعيش حالة هذيان منغلق على ذات منحصرة الأفق والوجود.

وأقول إنني تعلمت منه تقبل التطورات الأسلوبية والتعددية في الصيغ المفضلة من هذا الشاعر أو ذاك. ابتدأت معرفتي بالشعر باللغة الشفاهية للشعر وتأثرت كثيرا بقراءة القرآن الكريم مؤسسة جذوري اللغوية ، ثم بما قدمته لي في الطفولة الأولى تلك الدواوين العالمية التي اكتشفت فضوليتي الطفولية عشرات منها، في مكتبة أبي الشاسعة.

ذائقتي في الشعر العربي نبتت مع القصيدة العمودية الموزونة، وتعلمت تذوقه مع البلاغة التقليدية في المعلقات العصماء: حكم زهير بن أبي سلمى، وتفاخرات طرفة وعنترة،

وطموحات المتنبي، وأشواق ابن زيدون. ولكني أنتمي بالطبيعة روحياً إلى عصر لاحق، وتعبيرياً إلى الإيقاع التفعيلي الحر. وبعد تأثري ذاتياً بالمهجريين والشواعر جاءت وقفات انبهار مراهقي مع نسائيات نزار المتمردة، ووقفات تأملية طويلة مع كوابيس بلند الحيدري، وحسب الشيخ جعفر، وتغريبات البياتي وحجازي، ومحمد عفيفي مطر، ويمنيات البردوني ومحمد عبده غانم ، ثم .. وقفات أطول في حيرتي مع تغرب أدونيس وعلاقته الملتبسة بالجذور، وذوباني أمام محمود درويش وهو يبلور فناً أدبياً لغوياً مؤثراً يخرج به جراحات الأمة من حصاراتها السياسية الحضارية منقوشة بنزيفه الذاتي في حصاره جغرافياً.. دون أن ينعزل في برج عاجي بعيداً عن فهم أو ذائقة أو مواجع القارئ.

وجدتني في معايشتي لوالدي في عالم الشعر والفن والأدب أدخل في متاهة طويلة متعددة الالتفافات أبحث عن إجابات لتساؤلات أزلية ربما، عن موقع الفن والإبداع من جراحاتنا الخاصة والعامة وطموحاتنا لتدجين اللغة والأسلوب في خدمة تفاعلاتنا الفردية بدلاً من الخضوع لضغوط الجذور الموروثة لتدجين المبدع فينا وتهجينه لئلا ينطلق بعيداً عن سيطرة الموروث.. ثم تساؤلات التوازن المطلوب في المبدع بين تشوقه للوقوف تحت شلالات البريق الملمعة له وبين الصدق مع ذاته ومثيرات إبداعه، والتوازن المطلوب بين تطرفين: الصنعة المفتعلة، والابتذال.. وكلاهما مرفوض من الذائقة السليمة ولكنهما يفرضان إغراءاتهما على المبدع الضعيف أمام شهوة البروز والاشتهار.

كل ذلك يجعل الفن والإبداع بصعوبة الرقص على حبل دقيق مشدود فوق هُوّتين ما أسهل السقوط إلى هذه أوتلك منهما .

ثم أين من هذا كله موقع ما قرأته في مكتبة والدي أيضاً من ترجمات أشعار مبدعين عالميين تتفاوت الخلفيات والبيئات الحضارية والتاريخية واللغوية التي نشأوا وأبدعوا فيها. مبدعين مثل: طاغور، وبودلير، وشيلي، وبايرون، وسنغور، وناظم حكمت، وسافو، وإليزابث براوننج ؟

هل الفن والنظرة المفضلة لصيغة خاصة ناتج بيئة بعينها؟

هل الشعر موروث لغة بعينها؟ أم حضارة بمواصفاتها؟

أم هو موهبة فردية تتأثر بهذا وهذا وأي أفق إنساني ننفتح على متراكماته؟

وقفات وتساؤلات استدعت حوارات طويلة مع والدي نتناول فيها جوهر الإبداع وعلاقة الشكل النهائي بالإطار التاريخي والحضاري ومؤثرات البيئة والعصر، وما تفرزه تفردات شخصية المبدع ذاته في الصيغة النهائية للغة الفنية المختارة .

وأعترف أنني لم أتوقف بفكر ناضج الوعي أمام شعر والدي لأتأمل خصوصياته الأسلوبية والفنية في هذه المعمعة العربية والروافد العالمية، بل اكتفيت بلذة الاستمتاع بمباهجه، ربما لأنني تعرفت إلى قصائده مثل: «التمثال الحي»، و« حديث دمية» في مرحلة شغفي الطفولي بالجانب القصصي فيها أكثر مما هو اهتمام متأمل للجانب الأسلوبي والصور والصياغة الشعرية.

كنت إذن منذ البداية من أولئك المحتفين عفوياً بالإبداع الشعري بالذات .. وحين كنت أسترجع عن ظهر قلب قصيدة إيليا أبي ماضي « الطلاسم » الملحمية الطول أو قصيدة والدي «التمثال الحي» بأبياتها المشارفة على المائة ، ودون دافع خارجي يفرض علي ذلك كأن تكون جزءاً من واجب النصوص المطلوب حفظها في برنامج الدراسة ، كنت أمارس الانفعال العفوي بالشعر كظاهرة يومية في حياتي.

أدرك الآن أن تذوقي للشعر لم يأت من عينات النصوص التي طولبت بأن أحفظها عن ظهر قلب في مقررات مادة النصوص والمحفوظات بالمدرسة الابتدائية متغنية بالفراشة اللطيفة ، والممرضة الظريفة، بل جاء من انطلاق خيالي مشرعاً أجنحته محلقاً مع القصائد القصصية وللصور التي يرسمها والدي مشرعاً مسرحاً يحمل لي الحياة بكل نزعاتها الإنسانية المعقدة.

الآن أعي أن شعره كان يحمل من الثراء الفني ما رفعه فوق مستوى إدراكي البسيط المباشر، وأن أبعاد تأثيراته فيَّ – رغم أنها لم تكن بذلك الوضوح لي كمتلقية آنذاك – كانت في الحقيقة أبعد وأعمق تأثيراً في القارئ الواعي لتلك الروافد والمقدر للعمق الإنساني والموروث الحضاري العالمي فيها . وربما كان ذلك لأن شعره جاء بلغة عربية واضحة

البلاغة، ولكن منطلقاً من انتماء لجذور ثقافية أوسع من حدود عالمنا العربي جغرافياً وتاريخياً، متيحاً له أن ينفرد خارج كل هذا التزاحم والانحصار طائراً يغرد ويحلق بإيقاع أجنحة سرب بعيد جداً يحمله هو في الذاكرة ولا نعرف له نحن مرجعاً محلياً.

وعن هذه الناحية يقول الأستاذ حسن جواد الجشي الذي كان صديقاً وزميلاً للوالد منذ البدايات الأولى :

« أصدر العريض ديوانه الأول (الذكرى) في عام ١٩٣١، ورغم أنه يمثل مرحلة المحاولة والبداية الشعرية لشاعر ناشئ بما تنطوي عليه هذه البداية من وهن في الصياغة وضيق في الرؤية والخيال أحياناً، إلا أنه كان بدون شك انطلاقة جديدة رائدة في أدب الخليج بمنحاه وموضوعاته غير التقليدية المتأثرة بشعراء الرومانسية في أدب اللغة الإنجليزية، تلك اللغة التي يتقنها العريض كما يتقنها أعرق أبنائها ثقافة واطلاعاً. وكان المفروض أن يحدث هذا الديوان صداه بين شعراء الخليج فتتسع الدوائر حوله ولكنه كما يبدو ألقي في بركة راكدة. ولم يكن هو من الثقل بحيث يستطيع أن يحرك سطحها، على أقل تقدير. ولعل ذلك يرجع إلى أن الذوق الأدبي السائد في الخليج آنئذٍ كان ما يزال أسير المفاهيم الكلاسيكية التقليدية في تقييم الشعر، فكانت الرصانة والجزالة أو الظرف والرقة هي المعايير التي يوزن بها الأثر فيُقبل أو يُرفض. ولم يكن حظ « الذكرى» من ذلك كبيراً. فإذا أضفنا إلى ذلك أن الجزء الأكبر من الديوان رغم سذاجته كان هياماً بالطبيعة وغناء بمفاتنها مما لم يألفه الذوق البدوي ، أدركنا سر الجفاء بين الديوان وقراء الشعر في الخليج حينذاك».

وأقول :لم يكن شعره بسيطاً شعبي الجذور والهوية ليحرك الإحساس بالطرب لدى الغالبية بقدر ما كان شعراً للمثقف المتواصل مع المتراكم الحضاري العالمي . كان شعراً عميق الإيحاءات غنياً بالرموز والصور خارج إطار محيطه المباشر قادراً على تحريك ذائقة التأمل والتفكير.

ثم في تأملي لاحقاً لشعره بمنطلق حديث التركيز يدقق في المفردات المستخدمة وتفاصيلها، أجد أنه كان يميل إلى اختيار المفردات التي تدفع القارئ إلى إيقاظ مرجعية

حواسه الخمس كلها واستخدامها في التواصل، يبني انفعاله بما يقرأ فيعبر من المفردات المنتقاة بتخير عفوي إلى مستوى التذوق الحسي، وكأنه يقود سامع شعره ليقف أمام لوحة مرئية مثل وصف الطفلة وهي تنام محتضنة دميتها في قصيدته « حديث دمية» ، أو حتى مجسمة ثلاثية الأبعاد كوصف الشباب يتلصصون على الغادة الحسناء تغسل شعرها في البستان، فيكاد القارئ يتلمس نعومة شعرها وبرودة ماء العين ويرى لمعان الماء في العين.

فمثلاً في قصيدة « التمثال الحي» حين يصور انفعالات الفنان الذي ينحت تمثال الحسناء المتضورة يوغل في نحت التفاصيل الدقيقة للمشهد ، فتكاد تسمع طرقات الإزميل وترى لمعة العرق على جبين الفنان، وتحس بضوء الفجر يتسرب مع ارتفاع صوت الديك في الخارج..

وأشير هنا إلى ميزة أخرى تفرد بها شعره هي توخي دقة التخير في استخدام النبرة الشعرية الموائمة للحالة النفسية. وقد ذكرت لي الباحثة الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي شخصياً في لقاء تم بيننا في مدينة كمبردج بالولايات المتحدة حيث تقيم، أنها كانت أول من رصد ذلك في شعره وأنها أشارت إلى هذه الناحية في تناولها لخصوصيات شعر إبراهيم العريض، فذكرت هذه الميزة وشواهد لها.

وسواء جاء ذلك بوعي منه أو بصورة عفوية فقد أضاف بعداً نفسياً إلى جو القصيدة يشبه ما تفعله المؤثرات الخلفية الصوتية والإنارة في الإخراج السينمائي لتؤثر في تفاعل المشاهد مع المشهد.. ولعل كون الميل للجانب العلمي في الوالد لا يقل قوة عن الميل للجانب الفني هو ما أدخل هذه الخصوصية في شعره.

وحيث كانت العلاقات الرياضية وما ينبني عليها من استنتاجات ونتائج تشده كثيراً فقد توصل إلى أن هناك مشتركاً في الخصوصية بين عالم الأرقام والرياضيات، وعالم الفن والشعر بتردداته المنتظمة، حيث الانتظام والتكرار وتردد النغمات المختلفة وجمعها في تنويعات مختلفة تتكرر بانتظام يوصل بالنتيجة إلى صيغة فنية في لوحة خامتها الأنوار والظلال، أوقصيدة خامتها الكلمات وإيقاعاتها، أو نص موسيقي خامته النغمات الموسيقية.

من هنا ربما جاء ذلك التعبير الآخر الذي كرره أيضاً مراراً: أن طبيعة الوجود هي الانتظام. وإذا كنا، أو بعضنا، لا نستطيع إدراك قواعد انتظامه فلأننا لم نستوعبها بعد. وإذا كان هناك ما يبدو وكأنه فوضى ظاهرية فهو الحالة العابرة ولابد أن يعود الوضع إلى الانتظام في إيقاع ما. والتجديد أو الخروج عن الإيقاع لا يكون بالتراجع إلى حالة التوقف ولا إلى حالة الفوضى بل إلى إيقاع جديد هو الأفضل من حيث تواؤمه مع الإطار الزمني والنفسي للتعبير الفني.

لغات لحوار النجوم:

أتصور أنني أدركت منذ البدء وبصورة بدهية أن أبي يختلف عن الآخرين ممن أعرفهم من الرجال في محيطنا المحلي.

كان فارع الطول عريض المنكبين هادئ الصوت، لا يرفعه إلا حين يغضب، ويتكلم عدة لغات، كثيراً ما سمعته يتحاور مع أصدقائه من الجاليات الأجنبية في البحرين وبلغاتهم الأم . لا أفهم منها إلا العربية التي كان يصر أن انطقها واقرأها بصورة صحيحة حتى قبل أن أبلغ الخامسة. تعلمت القراءة مبكراً ، قبيل الخامسة من عمري.. ربما لأن بيتنا المتواضع كان يفيض بالكتب في كل زواياه والقراءة فيه فعل يمارسه الجميع. وكان والدي معلمي الأول للغة العربية والرياضيات ثم .. ثم ابتدأ بتعليمي اللغة الإنجليزية في سن العاشرة.

ومثلما كان وهو يعلم شقيقاتي قبلي، كان لا يتسامح في أخطاء اللغة حتى مع الأطفال، حتى كدت أعلن التمرد وأرفض مواصلة الدراسة معه لولا تدخل أمي وشقيقتي الكبرى التي أقنعتني أن تشدده معي وعدم تهاونه مع أخطائي هودليل حب واهتمام بتعليمي، فخضعت مخفية متعتي بتلك الدروس رغم اعتراضي على حدة المدرس.

والدي معلم بالسليقة ولكنه كان شديداً لا يتحمل البلادة ولا يطيق بطء الفهم أو تكرار الخطأ. وقد سمعت فيما بعد من طلبة الوالد الذين التحقوا بالمدرسة الأهلية الخاصة التي أسسها في شبابه أنه كان شديداً معهم لا يقبل في التطبيق الصحيح للعلم انحرافاً أو تساهلاً. وقد كان العقاب جاداً بقدر ما كانت رغبة التعليم جادة.

كان الرجل الشامخ الحضور يثير اهتمامي الطفولي، أرقبه عن كثب متشربة تفاصيل حضوره في حياتنا اليومية: حين ينصرف مبكراً إلى عمله مبادراً سائق سيارة الشركة البسيط بدعابة مرحة لتنفرج أسارير « غلوم» عن ابتسامة شاكرة ، وحين يعود الرابعة عصراً ليدخن الأرجيلة، وحين يتأكد شخصياً من أننا كلنا أخذنا جرعتنا الوقائية من زيت السمك والفيتامينات ، وحين يوزع علينا عند المغرب بعد عودته من مشواره اليومي عصراً ما اشتراه لنا من المخبز القريب من حلويات وكعك ساخن . وفي يوم الخميس بالذات كان احتفال أسبوعي للجميع إذ يعود من السوق يحمل رزمة المجلات الأدبية التي عودنا على توفيرها لنا بانتظام من مكتبة « الهلال» .

وكم كان يسعده تلهفنا على قراءتها والنقاش حول ما جاء فيها.

كان متفهماً جداً لمشكلة الفراغ الذي يواجه الصغار- والفتيات بالذات- في مجتمع لا يوفر نشاطاً ثقافياً خارج جلسات الطرب البدائي والاحتفالات الدينية . ولذلك كان حريصاً على أن يوفر لنا احتياجات أي هواية نبدي اهتماماً بها كالرسم الذي شُغفت به في سنواتي الأولى. أحياناً أثناء الإجازة الصيفية كان يصطحبني معه إلى مقر عمله في شركة النفط ويسمح لي أن أرسم على أوراقه أو أجرب الآلة الكاتبة أو أخرج إلى الحديقة العامة المجاورة لأتسلى بمراقبة النباتات والطيور.

كان كثير السفر في تأدية متطلبات واجبات وظيفته لاحقاً في شركة النفط ، ولذلك كنت أفتقد وجوده حين يغيب لأيام متوالية وأحياناً لأكثر من شهر .. ولكن في حضوره كان التعويض مضاعفاً

وكان يحرص حين يسافر أن يبقى على اتصال بنا وأن يبلغنا لنسمع المقابلات الإذاعية التي تجريها معه إذاعة «هنا لندن» فنتجمع وقتها عند الجهاز قبل الموعد وكأن صوته عن بعد نبع ارتواء يعيد لنا قدرة الانتظار حتى يعود.

وحين يعود يكون الفرح مضاعفاً إذ يعود محملاً بالهدايا ..

كان والدي حيوياً جداً في علاقته بنا من حيث أشبعنا تواصلاً عاطفياً وإثراء معرفياً يلاعبنا ويستثير نمونا الذهني ..

وكان منظماً جداً في إدارة حياته يطالبنا باحترام رغبته في الانصراف إلى أوراقه حين يشاء، ثم علمنا أن نستمتع بوجودنا معاً في أي وقت آخر.

وهكذا نظم مسيرة علاقاتنا وتفاعلاتنا معاً ..

كانت الليالي هي الأجمل إذ تحمل لنا سويعات تواصل حميم معه يتداخل فيها دوره كأب بدوره كفنان عاشق للكلمات. في الشتاء نلتف حول المدفأة ملتحفين بالأغطية الصوفية نصغي له يروي لنا الأساطير العالمية والقصص وحين يغيب تنوب عنه أمي بحكايات وسوالف الخليج.

وفي قيظ الصيف، حين ننتقل للمبيت فوق سطح البيت تحت وميض نجوم السماء يستدعيها لمشاركتنا سهراتنا فيأخذنا معه في رحلات مثيرة للخيال وهو يحكي لنا أساطير الميثولوجيا اليونانية عن مغامرات الأبطال الذين تحولوا لنجوم تدور في صفحة السماء أبداً في تكوينات الأبراج مشيراً إلى تشكيلاتها في السماء.

تلك السهرات عرفتني على عالم النسر الطائر والنسر الواقع والمرأة المسلسلة كسيوبيا وأندروميدا والجبار وسيفيوس والثريا وسهيل . وهكذا أورثني عشقه للنجوم وتجاوباً مع وميضها الغامض. وما زلت أميز هذه التشكيلات السماوية حتى الآن وأتذكر تلك الليالي الخليجية السعيدة.

ولم أعرف إلا فيما بعد أن اهتمامه بالنجوم كان علمياً وأنه كان متعمقاً في علم الفلك حتى اخترع معادلة حسابية فلكية مسجلة باسمه.

وأرى الآن أنه في تلك السهرات الممتعة أشرع شرفات الأفق الوجودي الأكبر أمامنا فعلمنا احترام إبداع الله في كل مكان وبأي صورة جاء، مثلما قدر في تفاعلاته الأخرى معنا أن يستثير اهتمامنا بظواهر الإبداع الأخرى. كان اهتمامه شديداً أن نحتفي بالفنون المختلفة تشكيلية وتعبيرية في أي موقع جغرافي، ويصر أن يأخذنا في زيارات تثقيفية مطولة للمتاحف التاريخية والطبيعية والفنية في كل بلد نزوره

كان فعلاً معلماً قادراً على تقديم الحقائق الطبيعية، حتى العلمية الجافة منها، في صيغة شاعرية الرؤية قابلة لاستثارة التفكير والمتعة الذهنية. هكذا أورثنا استمتاعه بتفهم العلوم والمعادلات الرياضية، وكان حقاً عاشقاً للحقائق في مجال الرياضيات والحساب.

ولكنه أيضاً علمنا ما هو أهم : تقبل مبدأ شمولية الوجود. علمنا تعددية المشارب وموسوعية الاهتمامات، وحفر فينا إيمانه الذاتي أن تَفهّم الوجود وملامسة أبعاده ومعانيه في الحياة لا يأتي إلا من منطلق رؤية جوانبه وتفاصيله بكامل تداخلاتها وتقبلها بشمولية تكاملها كحقائق علمية وتفاعلات إبداعية تعبيرية؛ وأن اختلاف التفاصيل البشرية المجتمعية لا يعني انتفاء المشترك الوجودي والموروث الإنساني الذي يجمع البشرية كلها من حيث هم خلق الله.

وفي حياتنا الخاصة كانت خلطة أصدقائه ومعارفه تشمل أفراداً من كل الجاليات واللغات والملامح ولم يكن غريباً علينا أن نسمعه يتحاور مع أصدقائه بلغات متعددة وكأنها كلها لغته الأم.

وحين علمنا تقبّل التعددية كان يعيش معنا ما عرف فيما بعد بعقلية ما بعد الحداثة في حين يحيط بنا عالم التفاعلات المعتادة في فترة البدائية الحضارية.

ولكن الذي كان يثير اهتمامي بصفة خاصة، هوارتباطه الحميم بالكتب والقراءة. وكتبه أيضاً كانت تأتي بلغات متعددة، وتشدني رموزها المكتوبة حروفاً غريبة غير تلك التي أتعلمها في المدرسة.

ربما كان أكبر ما احتواه بيتنا المتواضع هومكتبة والدي التي تجاوزت محتوياتها آلاف الكتب بلغات متعددة، واحتلت كل زوايا البيت فيما عدا المطبخ، بل وعودنا أن تكون لكل منا مكتبتها الصغيرة، ركن خاص بها يحوي كتبها.

لا أذكر أبي إلا وفي يده كتب أو أوراق يكتب فيها، وكانت أمي تمنعني وأخواتي من إزعاجه حين ينصرف إلى أوراقه، ولكنه كان يجد الوقت لنا ومتابعة نمونا جسدياً وعلمياً.. وما شعرت أبداً أننا خارج عالم اهتمامه الشخصي.

ولم يكن يسمح لأحد منا بالعبث بكتبه أو الشخبطة على كتبنا الخاصة، وإن كان يشجعنا على القراءة ويحرص على إمدادنا بالجديد من المطبوعات المتوفرة من مطبوعات الأطفال في الصغر كمجلة «الطالب» و«السندباد» في عنفوانها الأول، حتى ترجمات الروايات العالمية مثل «روايات الهلال» و«مطبوعات كتابي» في الصبا.

كان يقرأ دائماً وإلى ساعة متأخرة من الليل، ويشجعنا أن نمارس القراءة مثله بشغف وعشق.

وربما أفسر ذلك الاهتمام الشديد بالقراءة أنه في طفولته وجد في عالم الكتب ملجأه من شعوره بالغربة، وكان يهرب من وحدته إلى حيث تفتح له المؤلفات عوالمها السحرية ليجد مسرحاً واسعاً للانتماء والنشاط الذهني ينسى فيه حصار الواقع.

وفي حين ظل الإحساس بالغربة معاناته الأولى، ظل الكتاب رفيقه الحميم حتى تعسرت عليه القراءة حين ضعف بصره مع تقدم العمر.

ولنترك تفاصيل ذلك الى حين..

الإبداع الحي والريادة البانية:

تأثير جوهري آخر وعيته مؤخراً في غمرة التحديق بذكريات علاقتي مع والدي في إطار شمولي ، إذ توقفت عند التساؤل :

من أين جاءني هذا الإيمان أن الإبداع الحقيقي غير قابل للركود أو الانحصار في مخزون الموروث بصورته السائدة أو التجمد في الذاكرة العامة؟ وأن الدور الأهم للمبدع هو البناء لا الهدم والتواصل مع المستقبل لا التشبث بالماضي فقط ؟ وأن له دور الريادة في بناء المستقبل العام قبل أن يكون تركيزه على بناء المستقبل الخاص ؟

ومن أين جاءني هذا الاقتناع أن المبدع الحقيقي لابد أن يقف موقف الفرد غير المستسلم للتدجين والقولبة؟

وأين من هذا ما يتطلبه الانتماء من مشترك يصبح مرجع تعريف واعتراف؟

ولا أشك في الجواب: من والدي شخصياً.

في معايشتي له وهو يطبق يومياً في حياته الحقيقية وإبداعه هذا الإيمان بحرية المبدع ومسؤليته، ثم يحمل موقع المبدع إلى مستوى الريادة التي تفرض على الآخرين الاحترام والتقبل، حين لا ينحرف بهذا الموقع إلى هوة تبرير انحدار المبدع إلى إمّعة يتقبّل الخنوع لمعايير ومقاييس متلقٍّ لا يعترف بضرورة التطور، أو يتطرف إلى الرفض في سبيل الرفض والبروز بالاختلاف عن السائد ولو تبجيل الفوضى وكلاهما في الحقيقة يستمد مرجعيته كلياً من السائد، بل عايشت في والدي أيضاً كيف يتصاعد الرائد بمفهومه لأبعاد مسؤوليته الإبداعية الريادية ليصبح رمزاً مرتبطاً بالاحترام حيث يتحمل مسؤولية الريادة الإبداعية بصورة أكثر إلزاماً والتزاماً بالمثاليات من الشخص العادي.

هكذا قبل وبعد تأثير كل الآخرين في تكويني الفني والأدبي تعلمت من موقف والدي من الإبداع ما هو أعمق إدراكاً لروح الفن ورسالة الأدب وماهية الإبداع:

أن الفن هوتآخٍ مع الحياة، ولكنه ليس تكريساً لظواهرها كمعطيات أبدية.

وأن الفن ما هو إلا محاولة مستمرة للتعبير عن مظاهر الحياة ومعانيها وبلغات متعددة الوسائل والخامات .. ولذلك فالفن متطور بالسليقة وليس للإبداع قالب أزلي يحصر المبدع في تفضيلات ذائقة زمن بعينه.

وكان له في هذا السياق تفسير عن رؤيته لعلاقة المبدع بالحياة سمعته منه مراراً: أن الفن – والشعر أحد وجوهه – هوفي جوهره تعبير عن الحياة واحتفاء بها.

ولكن ذلك لا يلغي مسؤولية المبدع عن التواصل مع الذائقة الأسمى التي قد تكون فوق مستوى السائد المعتمد من المتلقي العام أو خارج محتواه المحدد .

أي أن المبدع رائد في صقل الذائقة العامة وتوجيهها إلى حيث يظل توجهها نحو المتجدد الأكثر حيوية والأجدر بالبقاء في ذاكرة الزمن وحتى لو عانى في تحقيق ذلك من الاغتراب والرفض.

وما كان بمقولة أن الفن هو احتفال بالحياة واحتفاء بها يعني أن الإبداع الأدبي هو بهرجة طرب رخيص أو احتفاليات سطحية بمناسبات رسمية؛ بل المقصود أن المبدع لا

يستطيع أن ينفصل عن تأثيرات الحياة حزناً أو فرحاً أو تأملاً وتفاعلاً، وحين يتفاعل معها يفعل بها ما يفعل الكائن الفطري الملتصق بحقائق الحياة بالسليقة العفوية تماماً كتفاعل الفراش والنحل مع النقوش والأريج ونكهة الأزهار .. تتحول عند هذا رقصات وتحليق بأجنحة شفافة ملونة ، وتتحول عند ذاك إلى إنتاج عسل مصفّى، وكلاهما ناتج ينجذب إليه ويحتفي به الآخرون طلباً لمتعة فوق متعة الذائقة المحكومة فقط بالتفاعلات اليومية العامة.

أستطيع أن أقول إن عالم الخيال المبدع والفن والشعر انفتحت قنواته في عالمي منذ الطفولة بدخولي أنا في عالم والدي واكتشافي لمكوناته الأساسية: تحليق في الخيال وإيقاع في أرجوحة الكلمات يثيران التفكير لتنفتح شرفات تواصل عفوي مع الحقائق المختفية عن النظرة البسيطة للمظاهر السطحية لينتهي ذلك التفاعل الجميل بتخليدها في صورة فنية قد يستطيع الآخرون الدخول إلى أسرارها ومعناها وكنهها الأعمق.

كنت إذن منذ البداية من أولئك المحتفين عفوياً بتأثير الإبداع الشعري بالذات في الذائقة الحسية من حيث هو مموسق ومنتظم الإيقاع ، ومن الناحية الذهنية من حيث يُولِّد صوراً خارج حدود الوضوح السردي . وحين كنت أسترجع عن ظهر قلب قصيدة إيليا أبي ماضي « الطلاسم » الملحمية الطول أو قصيدة والدي « التمثال الحي» بأبياتها المشارفة على المائة، ودون دافع خارجي يفرض علي ذلك كأن تكون جزءاً من واجب النصوص المطلوب حفظها في برنامج الدراسة ، كنت بصورة غريزية أمارس الانفعال العفوي بالشعر كمتعة يومية في حياتي. الآن أدرك أن تذوقي الطفولي للشعر جاء من انطلاق خيالي مشرعاً أجنحته محلقاً مع القصائد القصصية وللعوالم التي يرسمها والدي مشرعا مسرحاً يحمل لي الحياة بكل نزعاتها الإنسانية المعقدة، ولم يأت من الشعر المنظوم الذي طولبت مع زميلاتي عبر مقررات المدرسة الابتدائية لمادة النصوص والمحفوظات أن نحفظه كالببغاوات متغنيات بالفراشة اللطيفة ، والممرضة الظريفة دون أن يدرك واضعو المناهج كم كان ذلك يختزل عالم الإبداع اللغوي ويستهين بقابلية الطفل للتذوق الفني

ذلك إذن كان أول تأثير للوالد في بدايات تكويني الأدبي والثقافي .

ومع هذا أقول: يخطئ من يظن أن كون والدي شاعراً وناقداً متميزاً كان أهم تأثيراً في حياتي الأدبية من كونه والداً. ولكنني كنت حظيظة بين قريناتي فعلاً لأنه أتاح لي فرصة لا تتاح للغالبية أن يكون والداً محباً وفناناً أديباً ومثقفاً واسع الثقافة في آن، ولذلك كنت أستطيع أن أتناقش معه بحميمية في خصوصيات الأشياء التي تهمني أدبياً وفنياً، بل حتى عاطفياً وأُطلعه على أعمق مكنوناتي وتأتيني إجاباته محملة بصدق مشاعر الأب ورؤية الأديب المتمرس بالساحة وبتداخلات العملية الإبداعية، وهو ما لم يتيسر لكل واعد أو واعدة من أترابي. ولكن علاقتي به كطفلته التي يحبها ظلت هي الأصل.

وحين تجاوزت مرحلة الطفولة الأولى إلى الصبا والتساؤل عن دوري في الحياة كنت حظيظة مرة أخرى بأن والدي لم يكن متقبلاً للسائد العام في النظرة للمرأة في صورة مسطحة لا تحمل غير دور الإمتاع والإنجاب. ونظرة والدي للمرأة كإنسانة مكتملة القدرات وقابلة للحوار كانت أهم ما أسس حياتي اللاحقة

والدي والأنثى :

ما الذي تعنيه الأنثى في حياة الفنان ؟ .

ربما الإلهام قبل أي شيء آخر .. ولكنها كزوجة وأم تصبح العش الذي يحمي الفنان من الفوضى.

الأنثى الأولى والأساسية في حياتنا هي أمي.

هي العش الذي احتفظ بدفئه حتى النهاية.

أمي ابنة عم أبي وقد تزوجها بعد عودته من الهند بقرار من عمه الأكبر - أبيها- جدي الحاج محمد عميد العائلة، والحاكم فيها بأمره متحكماً في شؤون كل أفرادها .

هكذا تم أن والدي الذي كان قد عاد من الهند حيث ولد وترعرع وأكمل الدراسة الثانوية، تزوج والدتي فاطمة محمد العريض المعروفة بـ «الوردة» لتورّد لون خديها، وتلك علامة جمال مميزة في مجتمع يغلب على بشرة أفراده السُّمرة .

وما كانا عند اقترانهما قد تعديا الطفولة بكثير، هي في مطلع الرابعة عشر وهو في الثامنة عشر من العمر، وظلت زوجته الوحيدة طوال حياتها معه ثم بعد أن توفيت بعد خمسين عاماً لم يتزوج غيرها وكان ذلك باختياره.

عاشا معاً على السراء والضراء خمسين عاماً، أنجبت له خلالها ثمانية ؛ ولد وسبع بنات أنا بينهن السادسة . وحين توفيت رحمها الله عام ٧٩ ميلادية بكاها، رحمه الله، بكاء واضح الحرقة، فكانت أول مرة أراه فيها يبكي وما أشد وقع بكاء الرجال. أما هي فقد تعاطفتُ مع دموعها وأحزانها الأنثوية مراراً وبصورة تلقائية خاصة حين يغضبها منه انشغاله عنها بكتبه أو مصادر إلهامه الغامضة.

أمي رحمها الله كانت امرأة بسيطة جمعت جمال الوجه بنقاء العاطفة وعفوية التعبير وكانت تعيش الحياة محتفية بها تماماً رغم قسوة مجتمعنا في معاملة الأنثى.

وفي حين كان أبي مثقفاً شغوفاً بالبحث عن المعرفة ومتابعة كل كتاب جديد ينزل في السوق بأي لغة يتقنها، لم تتعد أمي مهارة القراءة البسيطة إلى مهارة الكتابة باللغة العربية.

امرأة بسيطة تعلمت قراءة القرآن ولم تتعلم الكتابة رغم محاولات أبي معها.. ثم توقف عن الإلحاح. وفضّل أن يشجع هواياتها الذاتية. كانت فنانة بطريقتها الخاصة، لها ميولها في فن التطريز، ووجد أن متعتها إبداع قطع فنية منقوشة، فأهداها آلة خياطة حديثة، ورتب لها أن تعلمها شركة سنجر مهارات استخدام الآلة في النقش والتطريز. . وقد أحبها كثيراً بطريقته الخاصة .. ولم يطالبها بأن تتقولب لتتمدد بمقاساته الثقافية الخاصة متجنباً ظلم بيجماليون حين فرض على أنثاه أن تعكس مشاعره وذائقته .

شخصياً لم تشغلني العلاقة غير المتكافئة بين موهبة أبي واتساع عالمه الثقافي ومحدودية ثقافة أمي إلا بعد أن قطعت شوطاً في الدراسة ولعل ذلك أخافني حيناً إذ ربما

رأيت فيه بصورة غير واعية تهديداً لاستقرار العش الذي يحتضننا، ولكن ذلك الخوف سرعان ما تبدد مع إدراكي مدى قوة الأنثى حين تصبح هي النسيج الذي يستمد منه الرجل شعوره بالحنان.

وبذكاء المبدع ترك أبي لأمي أن تكون الملجأ العاطفي لنا جميعاً واحتفظ لنفسه بأن يكون المرجع الأخير في صنع القرار وأن يكون هو مصدر المعلومة العلمية.

وكان يحب أمي بتفاصيلها الخاصة ولا يرى في عدم تعليمها نقيصة تتحمل جريرتها، ولم تكن إلا مثل كل أترابها إذ لم تكن هناك مدارس رسمية بل كان السبيل الوحيد المتيسر لمن يرغب في التعلم هو الكتاتيب أو المطوع الذي يعلم القرآن للفتيان مشفوعاً بلذعات من عصاه ، وفي المقابل هناك عصا المطوعة معلمة الفتيات. ولكن أولياء الأمور المهتمين كانوا يجدون طرقاً فردية لتعليم أبنائهم باللجوء إلى مدرسين خصوصيين من القلة المتعلمة. وأما الفتيات فيتعلمن قراءة القرآن عند المعلمة المطوعة ويتدربن على مهارات تدبير المنزل في أفياء البيت.

أستطيع أن أقول إن أبي وأمي أحبّ كلٌّ منهما الآخر، وبأعمق ما يستطيع شابان خليجيان أن يفعلا عبر الفروق الفردية والحضارية وإن جمعتهما وشائج القربى العائلية؛ هو مثقف غارق في الكتب، فنان يحمل غربته وتعطش روحه مصادر الإلهام محاولاً التوازن بين إغراءات ملامسة الحقيقة وصرامة المثاليات ، وهي صبية خليجية بسيطة لا تعرف للأنثى دوراً سوى التفاني في توفير الراحة. أضف إلى ذلك تعقيدات أن كليهما يتيم الأم منذ الطفولة الأولى مما يعني تعطشاً مستمراً للحنان ، ومع هذا ظلت سنداً له في كفاحه الحياتي ، وظل متفهماً حدود قدرتها على الاستجابة لمحاولاته إدخالها إلى عالمه الحيوي. وكثيراً ما اصطحبها معه في أسفاره خارج الوطن، هو يفتح لها شرفات عالم لم تعرفه ولم تعتد عليه.

كثيراً ما تساءلت :

هل أحب أبي امرأة غير أمي؟

لا أظن .

ومع هذا فبعض قصائده يدل بوضوح على تأثير إلهام نساء أخريات واضح في إبداعه.

هل يعتبر ذلك تقصيرًا ؟ ما أعرفه أنه كان مثالياً في شعوره بالمسؤولية العائلية..

ولكن من يضمن مشاعر الفنان أمام جاذبية الأنثى؟

ومن يدري كيف يتفاعل الفنان مع دوافع الإلهام ومغرياته؟

وهل هناك إبداع فني دون مصدر إلهام ما؟

كان أبي يحتفي بالمبدعين أدبياً وفنياً دون تفرقة في النظرة التقييمية بناء على انتماء لجنس الذكور أو الإناث، بل ربما أقول إنه كان متعاطفاً مع محاولة أي امرأة للخروج عن قيود التجهيل والتجاهل التي اعتادها المجتمع حتى فرضها عليها .

لم يكن يجد أن تعبير المرأة عن قدراتها تجاوز للمفروض بل هو ما يجب أن يكون.

كان يحترم النساء المبدعات أدبياً خاصة نازك الملائكة التي أعلم أنه عاصر بداياتها المبهرة، وكان معجباً جداً بتفرد قصائدها وجرأتها في تحدي السائد الأسلوبي، وكثيراً ما قال لي إنني في شعري أذكره بها. وله قصيدة رقيقة بعنوان « ولكن لماذا ؟ » رد بها على قصيدة لها بعنوان « لنفترق» ، ما أظن قصيدتها كانت أصلاً موجهة له شخصياً ولكنه انفعل بها كمبدع متذوق فتجاوب معها شعراً . وقد قال لي يوماً حين شكوت إليه ما أراه من تأثر الآخرين بقصائدي، إن التأثر بإنتاج المبدع إلى حد التفاعل معه هو أكبر تقدير وشهادة فعلية بتميز ذلك الإبداع.

وبالمثل يبدو في قصائد ديوانه « شموع» يتوجه بالحوار في شعره إلى امرأة أخرى كانت زميلة مذيعة أوحت إليه بقصائد قد تكون الأرقّ والأكثر عذوبة بين كل ما أبدع والأقرب إلى التعبير الذاتي عن مشاعره من قصائده الأخرى.

كان أبي يرى في المرأة مصدر الجمال في الوجود، وليس المقصود ذلك الجمال الجسدي المتمثل في جسد أنثوي لدن، بل كان شديد الحساسية لرقة المرأة وحنانها وعاطفتها الدافئة . ولعل افتقاده لحنان الأم منذ الطفولة الأولى هو ما شكل الأساس لهذا

التعلق بدفء الأنثى والتحيز لها كإنسانة مكتملة العاطفة والشعور والموهبة، حتى لو لم تحظ بصقل فكري من حيث التعليم العلمي.

لم يكن والدي مقتنعاً بفكرة انفصال العالم جذرياً إلى عالم رجال يسوده المنطق وعالم نساء تسوده العاطفة . كان يرى أن كليهما إنسان تحكمه العاطفة ويمكنه أن يسعى لسيادة المنطق والحكمة وعبر اكتساب المعرفة. كلاهما يمتلك عقلاً ومواهب هي هبة الله للكائن الإنساني بغض النظر عن جنس ذلك الكائن.

وكنت وشقيقاتي محظوظات بمثل هذا الإيمان منه.

هكذا في حالتي الخاصة وجدتني أتفرد بين قريناتي منذ الطفولة بأنه أشرع لي باب «عالم الرجال» الممتنع على كل أترابي، فقد كان لا يجد غضاضة أن يصطحبني معه إلى مشاويره والرحلات الرجالية والسينما والنادي.

النادي هذا كان «نادي العروبة» العتيد وكان ضمن برامجه أن يستضيف «بهلواناً» إيرانياً أو«ساحراً» هندياً في مناسبات متباعدة. ما زلت أتذكر نكهة متعة تفاصيلها الطفولية بسعادة، ولكنني أتذكر أيضاً تفاصيل أخرى لحضور والدي في النادي حيث كنت أستمتع بمراقبته يلعب الشطرنج، وقد كان بارعاً في هذه اللعبة ، أو يتحاور مع الأعضاء الآخرين، وربما ذاك ما علمني أن الحوار فن ومتعة. وقد وهب الوالد نادي العروبة فيما بعد محتويات مكتبته الشخصية لتكون مكتبة عامة في حرم النادي مفتوحة لاستخدام الجميع .

وهكذا ابتدأت في ظل وجوده الحاني رحلة اكتشاف التفاعلات الاجتماعية والتذوق للإبداع والفن والأدب . أتذكر تلهفي على مرافقته طفلة تتشبث بكف والدها حين يصطحبها معه إلى السينما لمشاهدة الأفلام الهندية والغربية أو في مشاويره عصراً إلى الحدائق العامة في ضواحي « المنامة» حيث كان يلتقي بأصحابه ورفاقه من الأدباء والمثقفين، بل ربما هم أقرب لأن يكونوا من تلامذته من حيث فارق السن، اذكر منهم: أحمد محمد الخليفة، وعبد الله الطائي، وناصر بوحيمد، وأصغي صامتة لحواراته معهم . وكم

كانت حوارات غنية ومثرية حول ما يعنيه الإبداع والفن، وما يدور في العواصم العربية البعيدة ومراكزها الثقافية من تيارات ستشكل فيما بعد علاقتي بالأساليب الأدبية المستجدة ، تلك كانت مؤشرات أضاءت للصبية درب تقدير الإبداع وتذوق الفن.

تلك الحوارات لم يكن هناك ما يضاهيها في مجتمع النساء.

وكثيراً ما عبرت رفيقاتي في المدرسة عن إعجابهن به ، وغبطتهن لي لكوني ابنته، وقد يتمنين لو كانت لهن مثل تلك العلاقة مع آبائهن، ولعلني الآن أكثر فهماً لأبعاد مثل تلك الأمنية منهن، وأعلم أن الكثير من المثقفات والرائدات في الحركة النسائية في البحرين يعتبرنه أباً روحياً لتعليم المرأة.

وفعلاً لم يكن والدي يرى في كيان المرأة ما يجعلها قاصرة عن النجاح في أي مجال، بل كان يؤمن أن المجتمع بحرمان الفتاة من بناء قدرتها في أي مجال وتحجيم مجالات مساهمتها هو ما يجعلها عاجزة عن تحقيق ذاتها وإثبات قدرتها على المساهمة والعطاء، ولذلك آمن بضرورة تعليمها ومصيرية تشجيعها وبناء قدراتها ودعم طموحاتها ومواهبها دون تفرقة بينها وبين أخيها، وإن كانت لها أيضاً مسؤولية دورها العائلي الأمومي كبانية للأجيال القادمة.

وقد طبق ذلك الإيمان في حياتنا الخاصة فقد تولى تعليم شقيقاتي الأكبر في المنزل حتى افتتحت المدارس الرسمية لتعليم الفتيات ، وكان من أول من أرسلوا بناتهم إلى المدرسة حين افتتحت مدارس البنات الحكومية، وكان ذلك في مواجهة معارضة مجتمعية بل وأسرية حادة. ثم سمح لهن بالعمل كمدرسات بعد أن نلن الشهادة الابتدائية، كما سمح للتاليات منهن بالسفر ضمن أول البعثات الحكومية لإرسال المتفوقين والمتفوقات إلى الخارج في بعثات حكومية لمتابعة الدراسة.

كيف كان والدي يرى المرأة بهذه الرؤية المتقدمة على عصرها ومحيطها تطبيقاً حيث يراها كياناً أساسياً في الوجود العام قادرة أن تكون مكتملة الحقوق والمسؤوليات ومطالبة ببناء ذاتها وتحقيق إمكانياتها والمشاركة والبناء .. ثم يتناولها في شعره بصورة الأنثى الملهمة جسداً وعاطفة؟

هل كان هناك ازدواجية في الموقف من المرأة بين جانبين في شخصيته :المصلح الاجتماعي والفنان ؟

لا أظن .. بل كان بإمكانه بتكوينه الثقافي استيعاب كل جوانب كيان المرأة ووجودها الشامل.

وهذه هي رؤية والدي للأنثى كما عبرعنها شخصياً بكلماته أستعيدها بتصرف من الذاكرة:

«جئت صبياً يحمل شعوره بالغربة إلى وطن واقعي شديد الجفاف لم أعرف تفاصيله في طفولتي .. وكنت متعطشاً لدفء حنان الأمومة الذي حرمت منه بحرماني من أمي رضيعاً، ولذلك ظلت المرأة ورقة وجود الأنثى خيالاً ألوذ به من جفاف المحيط القريب.. ولكنها ظلت في نظري ذلك الكيان الذي يستحق الاحترام والأقرب شفافية بعاطفتها إلى الكمال الإنساني. هي الكيان الروحي الذي يحيل المنزل الحجري البارد إلى سكن دافئ بالحنان، وهي المعنى الأعمق للوجود حيث تجعل من الاستقرار هدفاً لتكون الحياة الإنسانية استمراراً لا التقاء بشرياً عابراً.

وزاد من حدة الشعور بجوهرية وجود الأنثى في معادلة الوجود أنني جئت من عالم مختلف مغرق في الخيال والأساطير، يحتفي بالأنثى كجزء جوهري في الخارطة الشمولية للوجود الطبيعي والروحاني ويرفعها إلى مستوى التبجيل والمطالبة بدور المعبودة الطاهرة المستحقة للإيمان والمفجرة للإلهام، ووجدتني قد انتقلت في حرمان مضاعف مباشر وغير مباشر، مجتمع الخليج الذي لا يسمح فيه للأنثى بالتعبير عن وجودها الخاص، لا يمكن أن تراها أو تسمعها إلا في الخيال.

ولذلك حملتها في خيالي إلى أقصى ما يمكن أن يسمح به الخيال من الأنوثة والمثالية الأخلاقية».

وحين أتأمل في قصائد والدي أجد حضور المرأة فيها طاغياً ومليئاً بالتحيز لها ككائن قادر على وصول أقصى درجات الكمال؛ فهي بتكوينها الجسدي تمثل أوج الجمال،

وهي بتكوينها العاطفي تمثل العطاء والتضحية والطهارة والحكمة الأزلية. ولعله أسبغ على المرأة من رؤاه الخاصة وتعطشه للحنان ما هوفوق ما عايشه فعلاً في واقعه من حيث وجودها حوله كحقيقة بشرية بعيدة مثل الرجل عن مثاليات الخيال.

وظل يقاربها بالكثير من الاحترام والتبتل كما نرى في قصيدته المطولة «إليها» حيث يناديها: « يا ابنة النور» ، و« يا ابنة الفن ».

وحتى حين يوغل في رسم تضاريسها الجسدية في قصيدة «التمثال الحي»، أو قصيدة « تامارا» ، فهولا يفعل ذلك بشبق شخصي بل يحاول تسجيل مدى انفعال الرجل عموماً باكتمال الجمال في جاذبية جسد الأنثى.

كان والدي حتى قبل عصر التنوير من المؤمنين بحق المرأة في الحرية ولكنها حرية الفكر والحضور والتعبير عن الشعور ، وهي حرية مختلفة عن تلك التي طالب بها نزار قباني لاحقاً. لم يكن إطلاق الجسد لغرائزه هوما تمناه والدي للمرأة بل تحرير العقل من ظلمات الجهل وكوابيس قيود بعض الأعراف .

وكان يسعدني فعلاً أن لا أجد في شعره ما يهين كرامة المرأة من عبارات ترتبط بالشبق المباشر الذي كان سائداً عند بعض مجايليه مثل فؤاد الخشن ومحمد علي الحوماني حتى قبل سطوع مرئيات نزار.

الفن بين الريادة والانتماء:

كثيرون ، رجالاً ونساء، من الذين شاركوني والعائلة أحزاننا في وفاة الوالد، شملت تعزيتهم لنا هذه العبارة « هو والد الجميع»، ولم يكن هذا يأتي من فئة الأدباء فقط بل حتى من المعارف الآخرين والبسطاء الذين ربما لم يستوعبوا من تفاصيل ريادته ومسيرته الأدبية المتفردة سوى أنه معروف جداً ومشهور حتى خارج حدود وطنه الوادع.

أي قدر من الإعزاز والتقدير هذا الذي يجعل « الأستاذ» « والد الجميع»، وباختيارهم؟

حياة ابراهيم العريض - التي توغلت تفاصيلها في كياني بحكم كوني الابنة التي ورثت منه حساسية الشعر وخصوصية الاحتفاء بالحياة- كانت مليئة بالتوهج حتى خارج نطاق عالم العائلة وساحة الشعر والأدب والنقد، فقد كان مثالاً لشخصية الفرد الموسوعي الثقافة والمتفاعل مع مجتمعه بعلاقة حب عفوية المراوحة بين الرغبة في دفعه إلى الأمام والضيق بقصوره عن التحرك بحركة سريعة متحرراً من قيود التخوف والتوجس من ما لا يعرف وما لم يعتده. علاقة خاصة لا يعرفها إلا نخبة من المتميزين لا تنحصر في تقبل معطيات ما سبق من أعراف ومتقبلات مجتمعية دون تساؤل ، ولا تنبع من النرجسية أو حب الظهور الفردي، وقد ظلت تلك الخاصية المختلفة طابع تفاعله مع محيطه عبر قرابة القرن من التفاعل الحي المتفرد، بدءاً بتأسيس مدرسة أهلية متطورة المنهج حتى قبل أن تكون هناك مدارس رسمية، وحتى ترؤسه للمجلس التأسيسي الذي أعد مسودة الدستور البحريني ، كما هي طابع إبداعه الخارج عن الإطار المعتاد محلياً من البداية حتى النهاية.

كل ذلك يثير في ذهني تساؤلات جوهرية في معني الانتماء والريادة والبناء.

وهل كل من يعتبر نفسه مثقفاً يفهم ابعاد هذه العلاقة ؟

في السنوات العشرين الأخيرة وأنا أتابع - بمعايشة شخصية أو عبر متابعة التغطيات الإعلامية تلفزيونياً وصحفياً - توالي احتفاءات الساحة الثقافية عربياً، والرسمية والشعبية في البحرين والخليج بشاعر البحرين يتردد في ذهني سؤال جذري: «من الذي يزرع الانتماء ؟ الإنسان؟ أم المجتمع ؟». وهل كل من حلم بالوصول الى رتبة الرمز يستحقها لأنه يود الحصول عليها أم لأنه يستحقها بمواصفاته الخاصة؟

هل يبدأ المبدع مميز التوهج أم يصقل ذاته أم تصنعه أصداء التصفيق وتسليط الأضواء؟

هل فروض الانتماء كما يتفهمها ويتقبلها المجتمع السائد تبني المبدع الرائد أم تخنق جذوته واحتمالات ريادته؟

تعود إلى ذهني تفاصيل حياة هذا الشاعر الذي قال عنه مارون عبود: « ما عرفنا البحرين إلا حين عرفنا إبراهيم العريّض»؛

كيف ابتدأ أول تواصل له مع الحياة غريباً محروماً من كل انتماء حتى أصبح بعد عمر مديد رمزاً للانتماء الأجمل بكل معانيه وتطبيقاته.

كيف أضحى الرضيع اليتيم والصبي الغريب ذلك الرجل المعروف ، الرائد الذي يحترم تميزه الجميع ويخرج في توديع جثمانه الأعيان والبسطاء، ويخلد اسمه في لائحة الشرف في وطنه الإقليمي الصغير والقومي الكبير؟

لأعد إلى البدء..

مع مطلع الربيع في عام ١٩٠٨ ولد في ضاحية « بونة» من مدينة بومباي مولود لجدي عبد الحسين إبراهيم العريض، تاجر اللؤلؤ البحريني، الذي استقرت به متطلبات تجارة العائلة في تلك البلاد البعيدة، من زوجته الثانية جدتي «نائلة» من عائلة النائلة في كربلاء. وقد توفيت أمه بعد ولادته بشهر متأثرة بحمى النفاس، فاحتضنته جارة هندية طيبة ثم تولت أمور رعايته سيدة هندية أخرى، بينما انشغل أبوه بأمور تجارته وحياته وتزوج سيدة أخرى. تربى إبراهيم الصغير يتيماً في غربة عاطفية ولغوية وجغرافية تبلورت إلى شعور محتدم بالغربة الحضارية، وكان الصغير متوقد الذكاء وموهوباً في التعبير وقد استطاع أن يدجن اللغات ويخضعها لفنه ولكنه ظل يعاني من شعوره باليتم والغربة المعنوية مدى حياته العامرة.

تعلم الصبي العربي في مدرسة « أنجمن إسلام» الإسلامية الخاصة حيث كان يتعلم أبناء الطبقة القادرة من الجالية المسلمة، وكان متفوقاً في دراسته موهوباً في الفن والاستعداد العلمي والأدبي وظل مشغوفاً بمتابعة العلم، في البدء كان ميله الفطري للرسم كما عشق القراءة وأغرم بالرياضيات ونظرياتها، وقد فهمت منه وهو يستعيد معي ذكرياته عن فترة الطفولة والصبا تلك انه كان الأول على دفعته في سائر أرجاء الهند في

الاختبارات النهائية. وظل يعشق القراءة بنهم حيث اللغة وقدراتها كوسيلة للتعبير تشده بصورة خاصة وكان استعداده اللغوي مميزاً حيث أتقن الإنجليزية والفارسية والأردية، إلى جانب عدد من اللغات الهندية المحلية الأخرى، ومن ثم بدأ اهتمامه يتركز في جانب ممارسة الكتابة الأدبية.

أما اللغة العربية فلم يعرفها إلا حين زار وطنه البحرين وهو في الرابعة عشرة من عمره، وحين عاد نهائياً عام ١٩٢٦ بعد التخرج من الثانوية اتخذ قراره بدراسة لغته الأم بصورة جادة، وفعل ذلك تحت إشراف معلم قدير هوالسيد عبد المحسن التاجر الذي علمه اللغة العربية على أصولها وسرعان ما أتقنها إلى حدّ نظم الشعر بها .

وربما كان من آثار حياته دون ضغوط عائلية في مطلع حياته في الهند أنه اعتاد اتخاذ قراراته المصيرية بنفسه، وأنه يتمتع بمرونة ذهنية وفكرية، ولم يكن قابلاً للقولبة مما جعل شخصيته تتسم بالاستقلالية، وميله الطبيعي في اتخاذ قرارته في حياته الخاصة والعامة كان دائماً للعودة إلى قناعته الذاتية لا إلى سلطة خارجية تملي عليه تصرفاته، ولذلك كان رائداً بالسليقة يشق الطريق التي يعبرها بعده الآخرون بسهولة .

ولا أشك من محاوراتي المتعددة معه حول مرحلة طفولته وصباه الأول في الهند أنها كانت مرحلة ذات أثر جوهري في نشأته وانفتاح أفقه.؛ أولاً لشعوره الغامر بالغربة، وثانياً لأنه فتح عينيه على معطيات مجتمع متعدد الروافد الثقافية والدينية والفنية يمتلك مخزوناً حضارياً هائلاً.

وقتها في بداية القرن العشرين كانت الهند جوهرة التاج البريطاني وموقع التقاء حضارات شاهقة؛ الحضارة الشرقية بجذورها الآسيوية والإسلامية العميقة في الروحانيات والمنجزات الفنية، والحضارة الغربية يمثلها النظام المستعمر بتأكيدها التفوق التجاري والسياسي. ثم كانت فترة الصراع الداخلي للتخلص من قبضة الاستعمار البريطاني بكل احتشادها السياسي والعاطفي مسبباً حالة من الغليان الداخلي موحدة الجهود من كل الفئات الهندية مسلمة وهندوسية حتى تحقق الاستقلال قبل أن تتفجر

الأوضاع المحلية بعد الاستقلال إلى صراع ديني وأحداث دامية بين الفئات. ولعل في معايشة هذه التجربة من الوحدة العاطفية والتعايش والالتفاف حول هدف أعلى من الأفراد والفئات ما أسس إيمان والدي بشكلية الفروق بين الفئات والمذاهب.

وحين غادر والدي الهند في العشرينيات عائداً إلى موطن آبائه وأجداده الأصلي ظل جانب منه ملتصقاً روحياً بمعالم طفولته وصباه، وربّما فكر في ساعات الضيق المادي والاغتراب العاطفي أن يعود إلى حيث درجت خطاه الأولى ثم يمنعه عن ذلك ارتباطاته الجديدة عائلياً ووشائجه مع مجتمعه الجديد.

ولم تكن اللغة هي الصعوبة الأكبر في استقرار والدي بالبحرين، بل كانت النقلة من أجواء الهند المتحضرة نسبياً إلى أجواء الخليج البسيطة نقلة حضارية ضاغطة المتطلبات على اليافع العائد إلى أحضان أسرة لا يعرفها إلا عن بعد ومجتمع لم يعتد أعرافه ومتقبلاته، وكأنما أيقظت هذه النقلة الحضارية حساً مبكراً بالنضج والمسؤولية الاجتماعية.

وكانت أول قناعة توصل إليها أن هذا الوطن الجديد يفتقد الكثير مما يتوفر للفرد في بلاد الله الأخرى، وأن الغالبية العظمى من مواطنيه الغارقين في ضغوط مجتمع غير متطور يراوح في إطار الغوص وصيد السمك والزراعة والتجارة بمستوى شبه بدائي، لا يدركون ما يفتقدون، وأنه ، وهوالقادم من مجتمع أكثر تطوراً علمياً، لن يستطيع تبني موقعهم ذاك وتقبل الاختزال الضمني فيه، ولكنه يستطيع محاولة تغيير مفاهيمهم وتوسيع مدى أفقهم .

وكان أول ما رآه أن وطنه الجديد بحاجة إلى نظام تعليم حديث ومؤسسات تربوية وريادة جريئة.

من هنا جاء قراره أن يؤسس مدرسة توفر مثل هذا التعليم

مدرسة تشمل مسرحاً..

لم يكن غريباً وابراهيم العريض يحمل روح المعلم في أعماقه أن يأتي أول قرار اتخذه أن يحمل على عاتقه مسؤولية إنشاء مدرسة أهلية حديثة تقدم برنامجاً تربوياً لا

معتاداً، وقد استنفر لهذا المشروع اهتمام ودعم النخبة القليلة من أولياء الأمور والأعيان من ذوي الوعي، وحاول أن يستقطب مساعدة الشباب من مواطنيه الذين أتاحت لهم فرص فردية أن يحظوا بالتعليم في دول مجاورة أكثر تقدماً وبمشاركة أفراد الجاليات العربية المتعلمين الموجودين في البحرين.

هكذا جاء مشروع المدرسة يلبي أكثر من حاجة ماسة، ويجذّر وشائج الرائد القادم غريباً بتربة وطن أجداده.

وقتها لم يكن هناك في البحرين ولا غيرها من دول الخليج أية مدرسة غير الكتاتيب المحلية لتعليم القرآن تتيح تعلم القراءة بمستوى بدائي، ولم يكن تأسيس مدرسة مشروعاً سهلاً في مواجهة صعوبات وعقبات متعددة لم يكن أقلها عدم توفر السيولة المالية المطلوبة، هذه وجد حلاً لها في الدعم المادي من تبرعات بعض القادرين من أولياء أمور الطلاب الذين اقتنعوا بأهمية مشروعه، وكما وجد الدعم المعنوي في المتطوعين المتعاونين معه من فئة المتعلمين من الجاليات العربية الأخرى سوريين وعراقيين، أما العقبات الأصعب فكانت تجاوز رفض المجتمع للتغيير ليتقبل إرسال أبنائه ليتعلموا من الأمور ما لم يكونوا يرونه ذا اهمية في حياتهم.

كانت مدرسة متطورة الرؤية والمناهج حيث شمل مقررها عدا تعليم اللغة العربية والإنجليزية والرياضيات والعلوم الطبيعية والإنسانية، تنمية تذوق الفن والروح الوطنية.

ويذكر الأستاذ تقي البحارنة : « المدرسة المتميزة التي انتهى أمرها في أوائل الثلاثينات، ويتذكر إخواني والآخرون الأكبر مني سناً من تلامذة مدرسة العريض ومدرسيها أخباراً غريبة ومثيرة عن هذه المدرسة الفذة وعن أسلوبها غير المألوف، وتمتزج تلك الذكريات بأحداث رائعة كلها من صنع الأستاذ العريض وعن معاناته وصبره في مجال تنوير العقول».

كما يشير الدكتور إبراهيم غلوم في كتابه: « مسرح العريض» إلى قيام الطلاب بتمثيل وإخراج مسرحيات تاريخية صاغها الأستاذ شعراً ملحمياً مثل: « وا معتصماه»، و«بين الدولتين»، وبذلك كان رائداً في المسرح الشعري العربي.

المدرسة لم تدم طويلاً ولكنها دامت بما يكفي لأن تعطي نتاجها الطيب وتقنع المجتمع بتغيير موقفه من التعليم الحديث، حيث تخرج منها العديد من أبناء أعيان البحرين والمقيمين فيها من أبناء الجيرة الخليجية وقادة نهضتها الاقتصادية مستقبلاً، وما زال كثيرون منهم يدينون لإبراهيم العريض بنجاحهم بامتنان . ولكنها تجربة في ممارسة الريادة والقيام بحقوق الانتماء فعلياً ، وهي تجربة مليئة بالعقبات والصراع والمعاناة إذ لم يكن كل المجتمع يؤمن بالتعليم الحديث، ولم يكن كل من يؤمن به قادراً على المساهمة في دفع تكاليف انضمام أبنائه إلى المدرسة القائمة بجهود تطوعية .

وحتى حين ترك والدي مجال التعليم ليلتحق بوظيفة تؤمن متطلبات عائلته النامية ، ظل مؤمناً بأهمية المدارس والتعليم في كل خطوة من حياته.

الغريب الذي أصبح والد الجميع:

من المهم لفهم ظاهرة « إبراهيم العريّض» واستيعاب المدى الذي وصل إليه في نجاحه الشخصي متغلباً على حصار زمنه – إلى الحد الذي جعل البحرين تخرج من دائرة الغياب المعرفي لتعرف عند النخبة المثقفة على أنها وطن الشاعر إبراهيم العريض قبل أن يعرف الشاعر بأنه ابن البحرين – أن نراه ضمن إطاره الزمني والمكاني، وهو إطار شديد الانحصار جغرافياً في جزيرة محدودة المساحة، وشديد الانحصار حضارياً في اقتصاديات عالم البحر من صيد وغوص، يتيح للقلة أن يذوقوا الثراء ويخرجوا من الفقر المدقع ويبقي الأغلبية في إسار شبكة الفقر والجهل والمعاناة.

لم يكن إبراهيم العريض حين عاد صبياً يافعاً إلى البحرين مصلحاً اجتماعياً بوعي كامل، ولا كان أيضاً مغامراً طموحاً يطلب الظهور الشخصي بأية طريقة.

كان مجرد إنسان صادق يعيش توقد جذوة الفن في أعماقه، ويؤمن أن هناك عالماً أفضل يمكن الوصول إليه متى ما أصبحت المثاليات هي ما يؤمن به ويتمسك به الجميع.

وكان يحمل من الاحترام لإنسانية الإنسان ما يجعله لا يرى في أي فرد سوى إنسانيته، وهي ما يؤهل ذلك الفرد لأن يستحق حياة أفضل مبنية على المعرفة والإدراك.

ولذلك جاهد إبراهيم العريض ضد الممارسات المتعارف عليها والمتقبلة اجتماعياً في ذلك الإطار الضيق ليكسر طوق الجهل الذي يُبقي الفرد في قبضة الواقع الضاغط .

لم يكن خروج الوالد عن متقبلات المجتمع تمرداً لمجرد إعلان التمرد وإبراز الاختلاف بل كان يرى أن تلك المعتقدات ضرورية للرقي العام والتطور.

هكذا كان والدي عاملاً مهماً في إدخال التطور والتغير الاجتماعي في النظرة العامة إلى التعليم الحديث، بحيث حمله خارج نطاق التعليم الديني إلى حيث هو شامل لكل المهارات بما في ذلك العلوم والفنون وكل ما يتعلق بشمولية ارتباط احتياجات الإنسان إلى كل ما يتطلبه وجوده المعقد جسداً وعقلاً وروحاً .

ومثلما كان له تأثيره في تغيير النظرة المجتمعية بالنسبة إلى التعليم، كان له دور كبير في تغيير النظرة المجتمعية إلى المرأة ودورها ومساهمتها في المجتمع بصورة خاصة.

وكان له دوره الريادي في عدم الخضوع للضغوط المرسخة للفروق بين الفئات الاجتماعية والمذهبية حين جعل المواطنة تحتم الانتماء إلى وطن هونفسه جزء من أمة ، وليس إلى فئة بعينها من المواطنين، رؤية غير معتادة في تلك البدايات القبلية أن يكون الانتماء إلى أمة شاسعة الآفاق والمنجزات.

وقد أدرك مواطنوه هذا الموقف الصادق منه وحبه للوطن بصورة تتعدى ما اعتادوه من التعبيرات السطحية المتغنية بالوطن إلى ممارسة المواطنة الحقيقية ومطالبة الانتماء بعدم التضحية بالمثالية في التصرفات الفردية، ولذلك أحبه الجميع - بما في ذلك القائمين بالأمور وصناع القرار الرسمي- وقدروا تميزه في مفهومه الخاص لما هوالانتماء، وكان التعبير عن هذا التقدير والاحترام هو اختياره عام ١٩٧٣ لرئاسة المجلس التأسيسي الذي قام بوضع وصياغة الدستور الأول في تاريخ البحرين.

و ربما أحبه الناس على اختلاف فئاتهم لأنه ابتدأ بحب الآخرين و تقبلهم بكل ما يتميزون به من اختلافات.

و لأنه كان صادقاً و واثقاً من مبادئه فقد بدأ بنفسه و الأقربين.

عودنا والدي تقبل التعددية في هذا الوجود والبحث عن المشترك الإنساني الذي يجمعنا و الآخرين بدلاً من الاختلاف الذي يفصلنا في فئة مكتفية بخصوصيتها ورافضة لحقوق الآخرين في التعبير. وعلّمنا تقبّل اختلافات الذائقة وتذوق فنون الآخرين وخصوصيتهم، فهو يحاور أصدقاءه بلغاتهم ولا تحاصره لغته في الاكتفاء فقط بمن يشاركونه قدرة الحوار بها .

اللغة عنده مفتاح للتقارب و التفاهم وليست جدراناً عازلة تفصل من يتكلم بهذه اللغة عمّن يتكلم بأخرى.

كان بصدق يؤمن بالتعايش و أن الاختلاف هو ما يعطي للحياة نكهتها الأجمل .

و أرى الآن أنه من فتح الأفق الوجودي الأكبر أمامنا فعلّمنا احترام إبداع الله في كل مكان و بأي صورة جاء، و هو قدر أن يستثير اهتمامنا بالفنون المختلفة تشكيلية وتعبيرية في أي موقع جغرافي، وأصر أن يأخذنا إلى المتاحف التاريخية والطبيعية والفنية في كل بلد نزوره. . كان قادراً على تقديم الحقائق العلمية الجافة في صيغة شاعرية الرؤية قابلة لاستثارة التفكير و المتعة الذهنية، هكذا أورثنا استمتاعه بتفهم المعادلات الرياضية وكان حقاً عاشقاً للحقائق في مجال الرياضيات والحساب.

وحين علمنا أن حقيقة الحياة هي في التعددية و ليس في الرأي الواحد ، واحترم مبدأ أن تفهم الوجود وملامسة أبعاده ومعانيه في الحياة لا يأتي إلا من منطلق رؤية جوانبه وتفاصيله و تقبلها بشمولية تكاملها كحقائق علمية وتفاعلات إبداعية تعبيرية؛ وأن اختلاف التفاصيل البشرية المجتمعية لا يعني انتفاء المشترك الوجودي و الموروث

الإنساني الذي يجمع البشرية كلها من حيث هم خلق الله، كان يعيش معنا ما عرف فيما بعد بعقلية ما بعد الحداثة في حين يحيط بنا عالم التفاعلات المعتادة في فترة البدائية الحضارية.

هكذا كان رجلاً ذا أفق واسع في كل بعد من أبعاد حياته .

لم يؤمن بالانتماء الضيق سياسياً في حدود حزبية أو مذهبية و لكنه آمن بضرورة المواطنة الواعية والالتزام بالقانون الساري لحفظ النظام.

آمن بالانتماء الأوسع، بالأمة العربية الواعية لمسؤولية المحافظة على أمجادها وليس بالشعارات الضيقة المفهوم سياسياً فقط : و اعتز بالحضارة الإسلامية بكل جوانبها الفنية والأدبية و افتخر بها و بتميز منجزاتها في إطار الحضارة العالمية المستمرة.

و لم يخضع لفرضيات الانتماء الضيق فنياً في حدود الذائقة المحلية وإبداعياً في حدود المتعارف عليه. في تذوقه للفن شجع حركة التلاقح والإثراء ، و تقبل كونه وريثاً شرعياً لكل الفن الإنساني في عالم أكبر جداً من الأرض التي ينتمي إليها.

و في منهجه التعليمي مارس بصدق شمولية العلاقة بين الفنون و اللغات التعبيرية المختلفة، و بين الفنون التشكيلية و المهارات الحرفية؛ و بين العلوم و الآداب و الفنون.

في استخدام الوسائل الفنية كان مجدداً لا مقلداً و لا منحصراً.

في مواضيعه كان رومانسياً يميل إلى التعبير عن طموحات الطهارة و مثاليات وأحلام الإنسانية والمشاعر الأزلية الدائمة لا الفئوية العابرة. لم يحاول أن يخلد ما يكره في الواقع بل ما يود أن يكون في الإطار الأجمل، ولذلك لا نجد مآسي المعاناة الطبقية والأسرية المعتادة في أدب الخليج بل نجد رصداً لجدلية الصراع الأزلي في نفس الإنسان بين الخير و الشر و البحث عن الحقائق الخالدة.

و استطاع أن يمتاح من خلفيته التاريخية ويستمد روافد محيط إبداعه من حركة التاريخ العربي و الإسلامي في الأندلس و فلسطين و آسيا و الشرق.

حتى في علاقاته الثقافية و الشخصية كان أوسع مجالاً من انحصار المحيط الخاص.

ظل طيلة حياته المديدة يحارب الغربة ويردم الفجوة بين الناس ويرفض مبدأ الأسوار التي تقيمها المبادئ الفئوية، فقد عانى من الغربة في الطفولة والصبا والشباب، وهو الذي في كل موقع من المحيط الخاص عاش فيه كان مطارداً بالغربة حيث هو الذي لا ينتمي بسبب اختلافه بما يتميز به عن المجموع .. هو العربي في الهند بين الهنود، والمسلم بين الهندوس. و في الخليج هو المثقف خارج إطار الثقافة المحلية، وفي حركة الأدب في البحرين جاء قبل المد التعليمي الذي حمل بدايات المبدعين.

و مع هذا استطاع أن يطوع شعوره بالغربة ليوضح للقادمين من المواطنين والمبدعين رجالاً و نساء وطناً يتقبل الجميع و يعتز به الجميع.

وفي كل موقف مارس فيه رفض السائد كان على حق حيث ما يراه هو الأمثل، وظل حتى في رفضه إيجابياً يؤكد على البناء لا الهدم.

هذا إذن ملخص شهادتي لـ «الأستاذ» ، الشاعر الذي فتح لي أبواب الوجود والذي عرفته جيدًا و أحببت تميز رؤيته الفذة :

هو رجل عاش بصدق مدفوعاً لتحقيق حلم لا يدرك تفاصيله متجذر في قلب طفل يتيم صقله الإحساس بالغربة ، و بحسّ فنان و عقل مثقف و إيمان مصلح اجتماعي استطاع أن يقفز برؤيته إلى مجتمع « ما بعد الحداثة» ، مجتمع العولمة الذي يتقبل تعايش الجميع بكل فروقهم و اختلافاتهم، وأن يتجرأ أن يضع حجر الأساس الفكري في الخليج لذلك المجتمع القادم لا محالة.

الدعاء الأخير:

حتى كتابة هذه الكلمات، مر أكثر من شهر على وفاة الوالد ولم أعتد غيابه بعد.

وما أظنني سأفعل فقد كان دائماً رجلاً ذا حضور طاغ .

البارحة كان حفل تأبينه مكتظاً بمحبيه ومعارفه من المسئولين في البحرين، ورجال العلم والأدب في العالم العربي عامة والساحة الخليجية بالذات. و كان احتفالاً مهيباً ألقيت فيه كلمات كريمة.. وأقل ما أقول فيها إنها شهادات يتشرف أبناؤه أن يسمعوها.. شهادات مليئة بالحب والاحترام والتقدير من رجال عرفوه عن قرب ووجدوا فيه ما يذكرونه بالخير. و وزع وقتها كتاب ضم بعض هذه الشهادات الكريمة.

لا يجد من عرفوا والدي صعوبة في الحديث عنه.

أما أنا فأجد في ذلك صعوبات جمة ليس بينها مشكلة القدرة على صياغة الكلمات، تلك قدرة جاءتني بالوراثة، و إن كان الوالد يعترض على فكرة أن المواهب تورث للأبناء.

الصعوبة الأكبر أن لي مع والدي علاقة أخرى غير ما يتعلق بمسألة الموروثات الجينية، علاقة لا أراها تدخل تحت أي تصنيف بسيط .. فهي متداخلة الجوانب والروافد تستعصي على التبسيط والاختزال.

في البدء كانت علاقة عفوية تلقائية لا تختلف كثيراً عن علاقة أي وليدة بوالدها، ثم تنامت الوشائج مع مسيرة العمر وتداخل منعطفات التجربة إلى علاقة فردية تجمع اثنين بينهما تكامل الجذر بالفرع مادياً وذهنياً وعاطفياً.

عبرت معه مرحلة الأسئلة الطفولية تلاحق بها طفلة تفتقد المعرفة أباها الذي تراه عالماً بكل شيء ، إلى مرحلة اختزاله للإجابات في اقتراح مصادر المعرفة وعلى الصبية أن تبحث عنها بنفسها، حتى مرحلة الحوار شبه المتكافئ بين اثنين متفقين على ضرورة البحث عن حقائق الأمور وأبعادها المتداخلة .

ثم .. في المرحلة الأخيرة في زياراتي له كانت محاوراتنا تحمل تناولات أدبية وانفعالات وعنفواناً فكرياً وأبعاداً تاريخية و سياسية تبدو في سرعة حركتها وشموليتها متناقضة جداً مع واقع انحصار حركته الجسدية في كرسي بين جدران البيت المتواضع. ومع ترامي آفاق تفاعلاته الذهنية السريعة بين مخزون ذاكرته الشاسعة ونظرته المستقبلية البعيدة المدى كان تقبُّل فكرة أنه ماضٍ حتماً إلى غياب لابد منه، فكرة متعبة جداً ، مُرّة الطعم و صعبة الابتلاع.

وبعد انتقاله إلى بارئه كان من الصعب بالنسبة لي شخصياً تقبل فكرة غيابه كحقيقة لا يمكن نقضها.

وفي حين نزفت وقتها أقلام معارفه ومحبيه، وفاضت أحبار المطبوعات الصحفية والأدبية كتابة عنه، وجدتني، في حرقة توجعي عاجزة عن التعبير.

القليل الذي استطعت كتابته وقتها جاء بصورة قصيدة قصيرة من وحي آخر حوار لي معه سميتها: « الدعاء الأخير». ربما جاءت تسجيلاً لموقفه ومشاعره في آخر أيامه أكثر مما هي تعبير عن مشاعري الخاصة التي كانت أشد شجناً من أن أستطيع تسجيلها في كلمات.

الآن بعد أن تهادنت مع فكرة غيابه أدرك أن حزننا على فراق الأحبة هو في النهاية تعبير عن أنانيتنا وحبنا لأنفسنا إذ نود الاحتفاظ بهم أبداً رغم علمنا بأن ذلك مستحيل.

****

الدعاء الأخير

قلتَ لي – إذ تمنيتُ أن يطولَ بكَ العمرُ–:

« لا يا ابنتي ..

سوى أنه أجلٌ بقضاء من اللهِ

لا رغبة أن أؤجّلَ يوميَ عن موعدٍ مسبقٍ

و انتظرُ الارتحالَ الأخير إلى رحمةٍ و فضاءْ

✲ ✲ ✲ ✲

قلتَ لي يومَها:

« امّتي وجعي يا ابنتي

قارب العمرُ قرناً و ما

شارفت امّتي وعدَها

دربُها انحدارٌ عن العنفوانِ

و لا أملٌ واعدٌ بارتقاءْ

و ينعقد الدربُ حتى ثمالةِ علمي بهِ

و حلميَ يرتدُّ في الحلق لا يتحقّق نصرٌ ولا امّتي

تتوضّحُ رؤيتها تستعيد الرجاءْ» .

✲ ✲ ✲ ✲

قلتَ لي:

« يا ابنتي سأموتُ وقلبيَ منفطرٌ

يحاصرني الاحتشادُ باحزانها
وما زلتُ في حسرتي
امّتي تتناوبُها صفعاتُ الرياحِ
حاصرتْ افقَها الرازحاتُ ولم نستوِ بعدُ
كلُّ الصفوفِ فلولٌ
و غضبتُنا خارجَ الاحتواءْ».

✡ ✡ ✡ ✡

قلتَ لي:
« هو دربٌ يسير إلى حتمهِ
لا يعود إلى بدئه الغضِّ
لا يترفّقُ بالواقفين
لا يتسامح و الغائبين عن الوعيِ
لا خيارَ لمن يكتفي باختيار الوراءْ»

✡ ✡ ✡ ✡

قلتَ لي:« قد تعبتُ
من الوقفة المستديمة عند الكلام الأخيرِ
ولا شيءَ بين السطور واعدٌ بانجلاءْ.

✡ ✡ ✡ ✡

يتساوى هنا وجعُ الليلِ او وجعٌ في النهار
لا جسدٌ يتحامل كي يتجمّل
و لا الروحُ راضيةٌ بالبقاءْ.
فادعِ لي يا ابنتي الا أطيلَ البقاءَ هنا
- دار حزنٍ طويل-
أن أعودَ إلى رحمة اللهِ حين يشاءْ
يتساوى هنا وجعُ الليل او وجعٌ في النهار
لا جسدٌ يتحامل كي يتجمّل
و لا الروحُ راضيةٌ بالبقاءْ
فادعِ لي يا ابنتي الا أطيلَ المكوثَ هنا

– دار حزن طويل –

أن أعود إلى رحمة اللهِ حين يشاءْ».

✲✲✲✲

قلتَ لي يا أبي

و ها أنا افتقد الصوتَ إذ أستعيد الدعاءْ

إلى رحمة اللهِ يا ابتي.. و دار البقاءْ.

الحمد لله على كل شيء..

لقد عاش الوالد عمراً طويلاً حافلاً بالعطاء، وكان خلال الخمسة عشرة سنة الماضية يكرر: « إنه الفصل الأخير يا ابنتي» وكأني به قد ضاق ذرعاً بطول امتداد «الفصل الأخير» هذا، وما حمل معه من معاناة فردية و قومية عامة.

هذا الفصل الأخير كان شاقاً جداً على الوالد رحمه الله جسدياً و معنوياً، وربما كانت المعاناة المعنوية أشد عليه من المشقة الجسدية التي تحملها مرحلة تقدم السن. ولا كان الوالد من أولئك الأفراد القصيري حبل التحمل الذين يعلنون شكواهم بأعلى الأصوات أو يطلبون التعاطف من كل من يحيط بهم، فقد ظل حتى النهاية شديد التجمل ومحافظاً على صورة «الأستاذ» المتمالك لكل انفعالاته حتى في وجود المعاناة.

وما كان يخفف من تلك المعاناة إلا تكاثف محبيه حوله وبقاء تواصلهم معه مستمراً في زياراتهم ومهاتفاتهم .

والحقيقة أن ضيق والدي بواقعه الخاص وواقع الأمة العام كان ألماً مزدوجاً، فهو في أيامه الأخيرة افتقد قدرة الحركة الجسدية بحرية، ولكنه ظل متقد الذهن متابعاً لتطورات أحداث العالم العربي والإسلامي وانعكاسات تلك الأحداث وتأزماتها في أصقاع الأرض، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر و ما جنت على أبناء الأمة من استعداء وتضييق خناق. ضاق ذرعاً بالواقِعَيْن المتدهورين: واقعه، وواقع الأمة التي أحبها ولم يكن هناك في الأفق الزمني القريب ما يتطلع إليه .. سوى رحمة الله.

✱✱✱✱

و حين ينشر هذا الكتاب– إن تم كل شيء بمشيئة الله على ما يرام – سيكون قد مر نصف عام على عودته إلى بارئه.

نماذج من شعره

الوطن المفدى

سَــقَتِ الغــادياتُ أرضــاً رعــتْني

طاب لـلظـبي فـي رُبـاها المقــــامُ

ورعـى الـلـهُ تـربـةً أنـشـــــــاتْـني

وعــهــودُ الصِّـبــا بـهــا أحــلام

خلعتْ حــسنَهــا عليــهــا الليــالي

وازدهــتْ فـي ظـلالــهــــــا الأيــام

وعـلـيـــــهـــــا تـنـاثـرتْ دُرَرُ الـقـطْـ

ـرِ انتـــشـــاراً وانـحـلّ ذاك النِّظام

إن غـــــصـنـاً أطلَّ في القـلـب غَـنَّـى

فـــوقــه بلبلٌ وناح حَــــمــــام

كلّمـــا اهـتـــزّ جـــانبُ القلبِ للذِّكْـ

ـرى، فللوجـــدِ فـــوقـــه أنغـــام

ساقني موطني على البـعـد شوقَ الطْـ

ـطَيْـــرِ للظلّ قـــد براه الأُوام

والمـهى لـلمـــروج والأرضِ للـغَـــيْـ

ـثِ إذا أمــحلتْ ومـــاج القَــتـام

جـئـتُـهـا والخـشـوعُ ملءُ ضلوعي

بـعـــد أن عُلّـلتْ بهـــا أعـــوام

فـــراتْ من خـــلال دمـــعيَ عـــيني

أثـراً لـلـذيـن فـي الـربـع نـامـــوا

طَللٌ قد ضحكنَ فيها الأماني

فَهْي بَضّاء ليس فيها مَلام

فاخلعِ النعلَ إنها تربةُ بُو

رِكَ في نَبْتِها سقاها الغمام

تربةٌ قد تَسلسلَ الماءُ من تَحْـ

ـتِ رُباها تَزينها أعلام

لفحتْها الرياحُ والشمسُ حمرا

ءُ ، كلون الزجاجِ فيها المُدام

خُضرةٌ فوق حمرةٍ قد جلتْها

صُفرةٌ فوقها خفقنَ الخِيام

وعُقودٌ من اللآلئ يَهديـ

ـها لِجِيد الحسانِ بحرٌ طغام

عَلِقتْها نفسي شباباً وبُرْدُ الْـ

ـعَيْشِ غَضٌ فطاب فيها الغرام

لا أرتْني الحياةُ بعدكِ أرضاً

موطنَ الدُّرِّ لا علاكَ مقام

تلك أرضُ الجدودِ أرضُ أوالٍ

حلّ مغناكِ نَضْرةٌ وسلام

من ديوان : «الذكرى» ١٩٣١

****

الغصن الذاوي[1]

لَهْفي على غُصنٍ ذوى قَهْرا
أودى ولمّا يُنبتِ الزَّهَرا

غُصنٍ نضيرٍ كان يبعث من
طيبِ الروائحِ حوله نَشْرا

كُنّا نُؤمِّل أنْ يمدُّ لهُ
فَرْعاً فنرفع فوقه وَكْرا

ويُرى نضارتُه إذا انبثقتْ
أوراقُه وبدتْ لنا خُضْرا

فأتى عليه الدهرُ في قِصَرٍ
وقضى على آمالنا قَسْرا

يا دهرُ ويحَكَ كم تُبيد ولا
يشفيكَ ما تجتزّه قهرا

كم روضةٍ غَنّاءَ مُورقةٍ
أسدلتَ دون نعيمها سِترا

وطويتَ غُصناً كان منبثقاً
وعريتَ عُوداً كان مُخْضَرّا

يا دهرُ في جُنْح الدجى دُرَرٌ
منثورُها آياتُكَ الكبرى

يكفيكَ لو أحصيتَها عدداً
البغضُ من حبّاتها الصُّغرى

---

(١) في رثاء اخته الصغرى، وقد توفيت في ١٩ من ربيع الآخر ١٣٤٩ هـ.

والحـــالُ يقـــضي أن تكونَ بـهــــا
في غـــبطةٍ لا تُضــــمــر الشَّــرَا
واهاً فـــمــــا يدعـــوكَ تاخـــذ كُلْ
ـلَ خَـــريدةٍ من أرضنـا قـــهـــرا
أتـراكَ إنْ ســــالـتْكَ والـهــــةٌ
عـــمّـــا بدا تُبـــدي لهــا عُـــذْرا

✲ ✲ ✲ ✲

غــــصـــبتْ يدُ الأيامِ لـؤلـؤةً
كـنّا نُؤمّلـهــــا لـنا ذُخـــرا
إن الـتـي كــــانـت لـنا سَكَـناً
يا نفسُ فـاضت روحُــهــا حَسْــرى
أودى بـهـــا الـدهـرُ الخـــؤونُ ولَـمْـ
ـمَــا تقضِ من عــهـد الصِّــبا زَهْرا
عـــاشت على مــضضِ الحـيـاةِ ولو
بقـــيتْ لما عــرفـوا لـهـــا قَـــدْرا
ربّي قــضــيتَ بما قــضـيتَ فــهل
الـهـمتَ قلبـاً حَـبُّـهـا صــبـرا
يـا حـبُّ كـنـتَ إذا لجـــاتَ بـنـا
تحـنـو عـلـيـكَ قـلـوبُـنـا شُـكْـرا
لو غـــاب شـــخــصُك عن نـواظرنا
يومــاً سكبنا الدمعَ مُـحْـمَـرًا
طابت لـنا بـوجـــودكَ الـذكـــرى
والـيــومَ أندبُ نفـــسَكَ الحَـــرَى
كنّا كـــغُــصنَيْ بانةٍ حـملتْ
مـــن كــلّ لـــونٍ زاهـــرٍ زَهْـــرا
والـعـــيشُ في روض المنى رَغِـــدٌ
في ظلّ سَـــرْحٍ يـنـثـــر الـدُّرَا

كنّا زمانـاً لا يُكاتمنا
أملٌ لأغراض الهوى سِرّا
ما زالتِ الأيامُ تُنذرنا
والنفسُ تحسب عُرْفَها نُكْرا
والشُهْبُ في الظلماء ترصدنا
وتَعُدّنا ونَعُدّها دهرا
حتى سكنّ بنا على جدَثٍ
خَطّتْ عليه يدُ الردى سَطْرا
للنفس ساعاتٌ تُسَرُّ بها
فتخال انّ خلودَها يُشْرى
لكنّها، والحقُّ قد جهلتْ،
في القبر تلقى الراحةَ الكبرى

✡✡✡✡

لا انسَ نظرتَكِ التي بعثتْ
في القلب من آلامها جَمْرا
أأُخَيُّ قد ازف الرحيلُ فهلْ
تبكي لفقدكَ اختَكَ الصُغْرى
في ذِمّة الأيّامِ لؤلؤةٌ
مكنونةٌ اودعتُها القبرا
ويحَ الجُسومِ الغُرِّ إنْ نزلتْ
بعد الأحبّةِ منزلاً قَفْرا
يا ساكنَ الأجداثِ هل نبأٌ
يجلو حقيقةَ امرنا جهرا
حَدِّثْ بسرِّ الموتِ انفسَنا
إن كنتَ ممّنْ يُدرك السِّرّا
يا حبّا! خَبّرْنا اليقينَ بأنْـ
ـنا سوف نحيا نشاةً أُخْرى

والجسمُ إنْ زالت معالمُهُ
فالروحُ تبقى بعده دهرا
تبقى تحوم كطائرٍ غَردٍ
حتى تُقيمَ لنفسها وَكْرا
عُودي إذن بالحقِّ راضيةً
مَرْضيّةً يُسِّرْتِ لليُسْرى
وتَبَوَّئِي عرشاً حَباكِ بهِ
ربٌّ سما فوق النُّهى قَدْرا
طوبى لها روحاً رأتْ كَدَراً
في عالمٍ يعثو بنا غدرا
فمضتْ من الأوصاب سالمةً
تشدو بنعمة ربّها ذِكْرا
يا ليلُ! لا تَمنُنْ عليَّ يداً
يا شمسُ! لا تُفشي لنا سِرّا
إن الحِمامَ جلاءُ غامضةٍ
لا تبلغانِ لكُنْهِها فِكْرا

✡✡✡✡

غمرَ الإلهُ بفيض رحمتهِ
لحداً حواكِ وعَظّمَ الأَجْرا
إنْ غَيّبتْكِ صحائفٌ فلقد
خَلّدتِ ما يُحيي به ذِكْرا
سَقْياً لقبرٍ قد نزلتِ بهِ
وسقى ثراكِ سحائبٌ تَتْرى

من ديوان : «الذكرى» ، ١٩٣١

****

أرض الشهداء

فاتحة:

يا فلسطينُ ومـــا كنت ســـوى
بيعـــةَ الأرض
على كفِّ السماءِ
اشْـــهَـــدِي.. أنّ بيـــاني قـــد روى
فيكِ ما يُرضي
قلوبَ الشهداءِ

هذه التـربةُ.. مُـذ غنّى بهـا أهلُ الحـداءِ
لم يُطهّرها من الرجس سوى تلك الدمـاءِ
كم زكـا المسـجدُ من أعـرافـهم، بعـد الفناءِ
كم بكى الغيثُ على أجداثهم، وَسْط العراء
كم ربيعٍ مــرّ.. لـم يَعــرُج عليـــهم بهناءِ
فـاسـتـمـرّ العُـود عُـوداً مـا به أدنى رُواء
وشـتـاءٍ.. طال حـتى مُلّ من فَـرْط البـلاءِ
وتمادى الظلمُ فـيـهـا لـغُـزاةٍ أدعـيـاء
فكانّ الليلَ شيءٌ مـا لـه مـعنى انتـهـاءِ
ثم.. جاء الفجرُ يسعى بتباشير الضياء
فـإذا البـعثُ.. له ألفُ لسـانٍ في الفـضـاءِ
غَنّتِ البـيـدُ بهـا - ثـانيـةً - لحنَ السـمـاء
هذه أرضُـكِ يا دعــدُ ، وأرضُ الشـــهـداءِ!

من: ديوان: «أرض الشهداء» ١٩٥١

****

يد بيضاء

(١)

بدا من أفقه البدرُ

يُسامر جُلاّسَهْ

على مهلِ

على مهلِ

✡✡✡✡

فحرّكَ جفنَه الزهرُ

وصَعّدَ أنفاسَهْ

من الكللِ

إلى القُبَلِ

✡✡✡✡

نفض البدرُ على الغُصْـ

ـنِ الذي حيّاه.. نُورَهْ

جاعلاً من أصغر الأوْ

راقِ في الحُسن نظيره

مُلْقِياً للزهر دُرّاً

كلّما ألقى عبيره

في رياضٍ نمنمَ اللَّيْـ

ـلُ حواليْها ستوره

كلّما اهتزّتْ مَعَ الما

ءِ حواشيها المنيره

رقـصتْ بين يَدَيْ دا
ئِرَةٍ أُخرى صغيره
وزكا في الليل عَزْفٌ
علَّمَ الطيرَ صفيره
كاد يُنسي كلَّ شيءٍ
قلبَه إلاّ سُروره
فمضى يهتف بالحُسْ
نِ ، ويستدعي سميره
صَيْدَحِيٌّ وَدَّ لو شا
طَرَهُ البدرُ شُعوره
من رأى في راحة الأَوْ
راقِ كالطفل سَريره
خافياً يحسبه الشا
عِرُ في الليل ضميره

✡✡✡✡

(٢)

راتْه وَسْطَ دنياهُ
على الغصن الرَّطْبِ
يُمنيِّها
بأنغامهْ

✡✡✡✡✡

فلمّا قاربتْ فاهُ
طفتْ قُبلةُ الحبِّ
على فيها
لإكرامهْ

✡✡✡✡

لمح القُمْريُّ خَوْداً

كتم الليلُ سُراها

وأبي الحسنُ بان يَطْـ

ـويَ اذيالَ صِباها

يفخر العشبُ على الزَّهْـ

ـرِ إذا مَسَّ خُطاها

ويفوح الماءُ كالمِسْـ

ـكِ إذا قبّلَ فاها

جسمدتْ - لمّا التقتْ عَيْـ

ـناهما - حيث رآها

إنّه يلوي لها الجِيْـ

ـدَ فترعاه انتباها

«ليت شعري ما الذي تَهْـ

ـمِسُ سِرّاً شفتاها؟

هل رأتْني وَسْطَ دنيا

يَ مُطِلاً من ذُراها

أبداً أبتكر النُّغْـ

ـمَةَ حُبّاً في صداها؟»

هيَ تصغي لكَ يا قُمْـ

ـرِيُّ فاصدحْ بهواها!

وانْشُدِ الليلَ لماذا

سُمِّيَ البدرُ أخاها

سيلوذ الوردُ بالصَّمْـ

ـتِ.. وتحكي وجنتاها!

✡✡✡✡✡

(٣)

شدا القُمْرِيُّ بالحبِّ
فهل بثَّ أشجاني
بتجويدهْ
على بانِهْ

✡✡✡✡

فقد وقّع من قلبي
على وترٍ ثانِ
بتغريدهْ
وألحانهْ

✡✡✡✡

وشدا القُمْريُّ بالحُبْ
ـبِ كما شاءت وشاءَ
ناعماً يبعث مُوسِيـ
ـقاهُ في النفس هناء
مُوقِظاً في طَرْفِها الحا
لِم أشباحاً وضِاء
فكأنّ الأرضَ عطشى
صادفت في الشدوِ ماء
واستحالت أنجمُ اللَّيْـ
ـلِ جميعاً شُعَراء
كلُّها تخفق بالحُبْـ
ـبِ ، وتهتزُّ غِناء
فاصاخت وَهْي لا تَأْ
لُو بعينيها احتفاء
في يد الظلماءِ حتى
نَشَرَ الصبحُ لواء

صـــــوتـه يـغــــــمـــــرهـا بـالـ

ـلَحْـنِ كــــالماء صــــفـــــاء

تـــــارةً يمـــــلأ أُذْنَـــــيْــــــ

ـــهــــــــا وطَـوْراً يـتـنـاءى

ويـداهـا فـــــــوق خَـــــدَّيْـ

ـنِ ، قـــد احــمَــــرّا حــيـــاء

تـشـــــهـــــد الظلمـــــةَ نُوراً

وتـــرى الحـــبُّ رجـــــــــــاء

✡✡✡✡

(٤)

أفـــاق الفــجـــرُ من حُلْمِـــهْ

فـــــمن علّم الـشـــــادي

يُبـــاكـــرُهُ

يُـــنـــاديـــهِ

✡✡✡✡

بـأن الـنـهـــــرَ من نَـظْمِـــــهْ

وفـــي شـــطـــرَيِ الـــوادي

أزاهـــــرُهُ

قـــوافـــيـــهِ

✡✡✡✡

وقـف الـفــــــجـــــرُ عـلـى الـوا

دِي مُـطِـلاً مـن هِـضــــــــــابِـهْ

كـــأمــيـــرٍ عـــبـــقــريٍّ

زانـه حُـــسْـنُ شـــبـــــابـه

فـــاســـتـــفـــاد الـزهـرُ من غُـــرْ

ـرَتـهِ لـونَ خِـــــضـــــــابـه

وكــــــأنّ الـفَـنَّـنَ الـمَـــــيْـ

ـيَـــــادَ نـشـــــوانٌ لما بـه

يـــرفـــع الـــكـــوبَ الـــذي بَـــيْـــ
ـنَ يـديـه بـحَـــــــــبـــــــابـه
يـحـــــــتـــــــسي الـطـائـرُ منـهُ
ثُــمّ يمـــضـــي فـــي خِـــطـــابـــه
فـكـانّ الـشـــــــــــمـسَ لا تُـشْـ
ـرِقُ إلا فـــي رِحـــــــــــــابـــه
يـا ابـنـةَ الـنـورِ! انـظـري عِـــــقْـ
ـدكِ مـنـثـــــــوراً بـبـــــــابـه
كـــــــيـف لا يُـثـنـي عـلـيـك الـنْـ
ـنَهْــــرُ أثـنـاءَ انـصـــبـــابـه
مَـــــزَجَ الخـــــالـصُ من تِـبْـ
ـرِكِ ذَوْبـاً بـتـــــــــــرابـه
وامـــــتـطـى الـصـــــبـحُ لـرؤيـا
هـا عـلـى ظـهـــــر ســـــحـــابـه
فـــانجلى شـيـئـــاً فـشـيـئـــاً
كـلُ حُـــــسْـنٍ فـي ركـــــابـه

✡✡✡✡

(٥)

اســيـــرٌ.. نـالـه الجـــهـــدُ
وأغـــــضـتْ نـاظـريـهـــــا
عـلـى الـدمـعِ
ولـــم تـــدرِ

✡✡✡✡

فـــمـن ألـهـــمـــهـــا بَـعْـــدُ
بـأنْ تـثـنـي يَـدَيْـهـــــــا
مـــن الـــدرعِ
على الصـــدرِ

✡✡✡✡

وأراد الحـــــبُ ان يُـــــلْـــــ
ـحِقَ «بِـلْـقِـيـسَ» بـغِـيـــدِهْ

فـمـشتْ... داعـيـةُ للزْ
ـزَهْرِ بالسُّـقْـيـا وعُـودِه
وفمٌ حـولـهـمـا لا
يتـواني في نشـيـده
في سـرورٍ وابتـهـاجٍ
ذَكَّـرا المرءَ بعِـيـده
تـارةً مـن وَسَطِ الـغـا
بِ ، وأُخْـرى في حُـدوده
ريثـمـا تـاتي إلى قَـصَـ
ـرِ أبـيـهـا في بُنوده
فـتـرى في رَدهَة القَـصْـ
ـرِ أمـيـراً في قُـيـوده
سـابحـاً في دمـه مِنْ
أثـرِ الجـرحِ بجِـيـده
حـاسـرَ الراسِ يجـرّ السَّـ
ـسّـاقَ جَـرّاً في حـديده
أسـروه بعـد ان فَـجْـ
ـجَعَ في خـيـر جنوده
فـإذا مـرّوا بـه.. ألْـ
ـقَتْ على دامي جُـهـوده
نـظـرةً تَـنـزل كـالـطْـ
ـطَلِّ على قلب عَـمـيـده

✲✲✲✲✲

(٦)

تملّكَ حـبُّـه قلبي
فـفـوق الدمع جـفني
ومـن سِلْـكِـهْ
عـلـى دُرِّ

✲✲✲✲✲

ومــــا ينفـــعـــه قُـــربي
إذا لــــم يُـــمَـــكِّـــنّـــي
عـلـى فـكّـة
من الأســـرِ

✡✡✡✡

واحـــــبّتْ «طـارقـــــأ» بِلـ
ـقِـــيـسُ مــن أوّلِ نـظْـرَهْ
فَـــهْيَ من شُـــرفــتـــهـــا تَرْ
قُبُ في الـبُــرْجِ مَـــقَـــرّه
وَهْـي فـي خـلـوتـهـــا تُـخْـ
ـفِـي مـع الأنجـم ذِكْـــره
كلّمــــا نـاجت اخـــاهـا
غـــمــرَ الإشـــفـــاقُ صــدره
وتــوارى خـلـفَ رقْــــرا
قٍ من الـغـــيمِ بحَـــسْـــره
كـــعـــذارى الديـرِ لا يَـمْـ
ـلِكْنَ دفـــعـــاً لمضــــرّه
كـــيف تُفـــضي بهـــواها
إنـهـــا تخـــشى المَـــعَـــرّه
«أيّـهـــــا الـقَسُّ الـذي لـم
يـنـسَ في الآحـــاد بِـرّه
الـنـواقـــيسُ تُـدوّي
والتـــرانيمُ مَــــسَـــرّه
ومـــلاكي .. في صـــلاةٍ
تملأ العـــيـنين عَـــبْـــره

ليـــتــــهــــا تـبـلـغ مَـنْ شــــا

طَــرَهُ قــلــبـيَ أَســـــــــــــــره

أفــــــــــلا تــدعــــــــوه أنْ يَــرْ

فَــعَ (لــلــعــــــــــــــذراء) «شُـكْـره»

✡✡✡✡

(٧)

قـــــضـى في الأَسْـــــر أيامــــاً

كــــــأنّ الـيـــــومَ شــــهــــرُ

مــن الــطــولِ

بظلمـــــاءِ

✡✡✡✡

ولا يـقـــــتـــــات إلاّ مـــــا

يُـمـــــــوِّنُـهُ الأَسْــــــرُ

مِنَ الفـــولِ

مـــع المـــاءِ

✡✡✡✡

ويمـرّ الـيــــــــــــــومُ تـلـوَ الْــ

ـيَــــــــــــوْمِ رَهْـنـاً بـشَـكـاتِـهْ

هـي فـي فـــــردوســـــهـــا تَـجْـ

ـنـي بـخــــــوفٍ ثـمــــــراتـه

والـفــــتـى عن عـــــالـم الـفِــــرْ

دَوْسِ مــــشــــغـــولٌ بـذاتـه

يـبــــــــزغ الـنـورُ عـلـيــــــــهِ

ســـــارحــــاً فـي ظُلُـمــــاتـه

يـائـســـــاً فـي غـــــمــــرات الـسْـ

ـسِـــجـنِ حــــتّـى من نَـجـــاتـه

فـــإذا اشـــتـــدَّ عليـــه الضَّـ
ـضَـــغْطُ من جَـــوْرِ عُـــداتـه
عـــاذ بـالـفُـــرْقـــان يَسْـــتَـــفْـ
ـتِـحُ فـي لَـمِّ شَـــتـــاتـه
قـــالـتِ الـغـــادةُ: «مـــا أَمْـ
ـعَـنَ قـــومـي فـي أذاتـه!
آهِ! كـم حـــاولـتُـمُ أَنْ
تـفـــتـنـوه فـي صـــلاتـه
هـل رأيـتُـم نـورَ مـــا يُـضْـ
ـمِـــرُهُ فـي نَـظـراتـه؟
إنـه يـؤمـن بـالـحُـــبْـ
ـبِ ، ولـكـنْ فـي صـــفـــاتـه
فـــدعُـــوه لحـــيـــاتـي
ودعُـــونـي لحـــيـــاتـه»

✡✡✡✡

(٨)

سلوا عن مـهـجـتي خَـبَـرَهْ
فلَـمْ يـخـتـصُّ دونـي
بإحـسـاسـهْ
والامِـــهْ

✡✡✡✡

دعـــونـي أقـــتـــفي أثـرَهْ
وإلاَّ أَسْـــعِـــدوني
بأنفـاسِـهْ
وأحـــلامِـهْ

✡✡✡✡

بَدَتْ مـــحكمـــةُ التَّـــفْـ
ـتِـــيشِ آمـــالَ الحـــزينَـةْ

ليس يُرضيهم سوى أنْ
يُنكرَ المسلمُ دينه
وأبى طارقُ أن يُلْـ
ـبِسَ بالشكّ يقينه
أإذا لاح صليبٌ
مرّغَ الجبهةَ دونه؟
هو لن يُشركَ بالْـ
ـلَهِ ولو ذاق مَنونه
وقضاها ليلةً لا
يطرق النومُ جُفونه
في اجتلاء البدرِ حتى
كاد ألاّ يَستبينه
شاخصاً.. في ومضات الْـ
ـبَرْقِ يجتاز سِنينه
سَنَةٌ يبسم منها
سَنَةٌ تُندي جَبينه
إنه يذكرها الآ
نَ ، ولا ينسى فُتونه
عندما شارف قُرْصُ الْـ
ـبَدْرِ أسوارَ المدينه
كيف ناجاه من الخَنْـ
ـدَقِ طيفٌ بسَكينه

✡✡✡✡

(٩)

تَخلّلَ سجنَه نورٌ
أخيطُ الفجرِ ذلكْ
على الأفقِ
كإيمانِهْ

✡✡✡✡

وحـدّقَ وَهْو مـذعـورُ
ووجـهُ الليلِ حـالكْ
إلى الشـرقِ
بإنسـانة

✡✡✡✡

يا له صوتاً رقيقاً
ذاب في أُذْنَيْه طَلاّ
قبل أن يدهمَه الفَجْـ
ـرُ ، فلا يملك حَلاّ
إنه يدعوه أن يَلْـ
ـتَقِطَ الحبلَ مُطِلاّ
فإذا أوثقه مِنْ
نفسه رَبْطاً تَدلّى
ولوى طارقُ بالحَبْـ
ـلِ على الكفِّ وتَلاّ
فرآه مُحكَمَ الشدْ
دِ ، فسَمّى واستقلاّ
كلّما أمسكَ جُزءاً
منه عن جزءٍ تَخلّى
هالهُ البعدُ فغضّ الطْـ
ـطَرْفَ خوفاً أن يَزِلاّ
وتَقرّى حائماً بالْـ
ـلَمْس للوطء مَحَلاّ
ريثما أثبتَ خُفَّيْـ
ـهِ على الأرض وحَلاّ
ثمّ ألقى طرفَه حَيْـ
ـثُ الدجى أعمقُ ظِلاّ

فـــــإذا طـيفُ فـــــتـــــاةٍ
تبـــــهـــــر الـعـــــيـنـين دلاً

✡✡✡✡

(١٠)

ظـفـــــرتُ بمُنْيَـــــتي لـمّـــــا
رمـى بـالـحـــــبل جَنْبـــــا
على حَـيْــرَهْ
وحـــــاذاني

✡✡✡✡

فـــــسـمّـى لي بما ســـــمّـى
وفـــــاض الـقـلـب حُـــــبّـــــا
مـع الـنـظـرَهْ
إلى الثـــــاني

✡✡✡✡

ودنـا مـنـهـــــا بـوجـــــهٍ
بـاسـمٍ.. يُـخـــــفـي ذهـولَـهْ
شـــــاعـــــراً في الـقـلـبِ مَـــــعنًى
عـــــاجـــــزاً عـن أنْ يقـــــولـه
فـــــرآهـا فـي لـبـــــاسٍ
قـــــدّ الـطـــــاووسُ طـــــولـه
آيـةَ الـطـهـــــرِ إذا جَـــــرْ
ــرَتْ عـلـــــى الأرض ذُيـــــولـه
والـتـــــقـتْ بـالـنـظـرة الأُخْـ
ـرَى فـلـم تُـخْـطئ مُـــــيـــــولـه
ذكَـــــرتْـهُ ثـانـيـــــاً في الـطْـ
ـطِيب أحـــــلامَ الـطـفـــــولـه
ورأتْ فـــــيـــــه فـتـىً مَـــــهْـ
ـهَدَ للـمـــــجـــــد سَـــــبـيـلـه

تتـــــمنّى الغِيـــــــدُ لو تَظْـ
ـفَـــــــرُ منه بوســـــــيلـه
اصـــــبِـــــري! أُلهِـــمتِ بِلْقيــْـ
ـسُ من الصـــبــــر جَــمــيله
لا يـــــدوم الـــــوصـــلُ هـــذا
غـــيــــرَ ســـاعـــاتٍ قليله
فلســــانُ الفـــجـــرِ في الشـَّـرْ
قِ، يُـــمــنّــيـكَ الــبــطــولــه
كـــــــاد أن يـطغى على اللَّيْـ
ـلِ سَناه فـــــيُـــــــزيلـه

✡✡✡✡

(١١)

حـــيـــاتي فـــيضُ كــفّــيكِ
فـــــــــــلا أدري بمـــاذا
أجـــــازيكِ
أفـــيـــديني

✡✡✡✡

فـــــؤداي بين عِطْفــــيكِ
وحـــــســـــبي بعضُ هذا
بـــنـــاديـــكِ
إلـــى حـــينِ

✡✡✡✡

قــــال: «سُـــبـــحـــانَ الذي زَكْـ
ـكَى وجـــــــــودي بـحـنـانِـكْ
بـعـــــــد أن ذقـتُ الأمَـــــرَّيْـ
ـنِ ، فـلـم أحـــــفـل بـذانـك
ليت شـــــعـــــري إنّ من كـــا
نتْ على رفـــعـــة شـــانك

كــــيف تُنسَى يدُها البَـــيْـ

ـضاءُ.. مــلأى بجُـمـانك

فـاسـمـحي بلقـيسُ! انْ أَلْـ

ـثِمَ أطـرافَ بَـنـانـك»

بـقـيتْ بعـدكَ - يـا طا

رِقُ - حـيـرى في مكانك

هـل سـالتَ الأُفْقَ عنـهـا

إذ تـوارت عـن عِـيـانك

كلّمـا أبعـدتَ عنهـا اضْـ

ـطَرَبتْ مـثـلَ عِـنانك

إنّهـا تذكـر بالحُـسْـ

ـنَى عـلى دُرِّ بـيـانك

قُـبْلةً اودعتَ فـيـهـا

شـاكـراً كلَّ امـتـنانك

واسـتـفـاض الصبحُ ضـوءاً

واخـتـفى صـوتُ حِـصـانك

وَهْـيَ تـدعـو: «يـا إلـهَ الْـ

ـحُبِّ، خُـذْهُ في أمـانك!»

من ديوان : «قبلتان» ، ١٩٥١

****

ذلك الصوت!!

«إليها .. قبل أن أراها»

يا ابنةَ الحسنِ!

... قــد عـــشـــقـــتُكِ صـــوتاً

يتـــهـــادى على جناح الأثـيـــرِ

انا أصـــغي إليكِ في كِلّةِ اللّيْـ

ـلِ، كــاني في عــالمٍ مــســحــور

ليت شــعـري أيضـحك البـدرُ لي، أمْ

انا في وَسْط حــفــلةٍ للطيــور

لم أكُن قــبلَ ذلك الصــوتِ أدري

أنّ في الأرض كلُّ هـذا الســرور

مــا وعتْ من لحــونكِ الأُذْنُ لحناً

إنّمــا غِــبتُ.. غِــبْتُ بين الزهور

يا طريدَ الجِنانِ! عَــرِّجْ على الخُلْـ

ـدِ، فـمـا ذاكَ غـيـرُ صـوتِ البـشـيـر

هُوَ كـــالروحِ .. في ضلوعيَ منه

خــفــقــةُ بلّلتْ أرَقَّ شُــعــوري

هُو كــالورد.. مــا نشــقتُ بانفي

ريحَــه، بل لمســتُــه في ضــمــيــري

هُو كــالصــيفِ... ليلُه مــرّ بالأنْـ

ـجُمِ، يزهـو في قلبيَ المحــرور

هُو كـــالـنجـمِ... مـــا تـصـــوّرتُ إلاّ
أنّه في الســـمـــاءِ باتَ ســـمـــيـــري
كنتُ في ظلمَـــةٍ، أعـــيشُ لذكـــرى الْـ
ـحُـــسْنِ، حـــتّى حظيتُ منه بنُور
هـو دنيـــا مـن الشـــعـــورِ لقلبي
يا لَدنيـــا - في وحـدتي - من شُـعـور

دلهي الجديدة ، ٢٧ من أبريل ، ١٩٤٥

من ديوان : «شموع» ، ١٩٥٦

****

دمية

«إليها.. بعد رؤيتها»

يا ابنةَ الحسنِ!

.... عشتُ أهواكِ لحناً

فإذا انتِ فتنةٌ للرائي!

نهلتْ من جمالكِ العينُ ما كا

نَتْ به الأذْنُ - قبلَها - في ارتواءِ

كنتُ اجري مع الخيالِ، إلى أنْ

لُحْتِ، فانتهيتُ من خُيَلائي

روعةُ الحسنِ في تأمّله الخا

لبِ اضعافُ روعةِ الإصْغاء

اومضَ الحبُّ في سماءِ وجودي

فإذا الكونُ ضاحكُ الأرجاء

لا تميلي بناظرَيْكِ دلالاً

امهليني تنفُّسَ الصُعَداء

دُرَّةٌ انتِ - يا لَحسنكِ - في جِيـ

ـدِ - الليالي الحسانِ ذاتُ بهاء

وردةٌ انتِ - يا لَطهركِ - رفّتْ

حُمرةً في خميلةِ الشعراء

نجمةٌ انتِ - يا لَلحظِك - إذ يُعْـ

ـلِنُ معنى الحقيقةِ الغرّاء

حَـــيّــةٌ انتِ – يا لَسـحـــرِكِ – في الإغْـ

راءِ، إذ تنهـــدين باســـتـــحـــيـــاء

اعـــــذريـنـي إذا تـلـمّـــــستُ قـلـبـي

بـينَ تـلـك الـضــــفـــائـرِ الـســـــوداء

دمـــــيــــةَ الـهـنـدِ! ابـدعــــتْـكِ يـدُ الخَـلْـ

ـلاقِ كي تُـعـــبَـــدي، فـــهــاكِ.. غِـنـائـي

دلهي الجديدة ، ٥ من مايو ، ١٩٤٥

من ديوان : «شموع» ، ١٩٥٦

****

ملاكي(*)

سلوا النَور، هل بثّ عن امّها
وعنها حديثاً، رواه القمرْ..

راتْهـا تـهشّ لـه ضـاحكاً
فـجـاءت تَزفّ إليّ الخـبـرْ
وتـهـتـف بي : «من رأى كـابنـتي؟
بكاء على ضَحِكٍ مُـسـتـتِـر
حـوى ثغـرُها - مـا ترى - دُرّتينِ
وفي وجنتـيـهـا تُضيء الأُخَـرا»

✡✡✡✡

واقـبلتُ انظر في المهـد «هندأ»
ومـن دونـه أمُـهـا تـنـتـظر
فـمـا هزّها من مـعـاني الخلودِ
كـبُـرعـمـهـا في الهـوى يَثّـغـر
تَبـغَمُ من طربٍ كـالـغـزالِ
وكـالطيـر في خـفَّـةٍ مـا تَقَـر
كـأن يديهـا - ومـا همّـتـا
بشيءٍ - تحـوشـان بعضَ الأكـر
أَوَ انّ على قـدمـيـهـا يداً
تُدغـدغ، فـهْيَ تُزيح الاثـر
وتـضـحـك .. يا مَنْ أحسنّ الورودَ
على ثغـره هامـسـاتٍ بسِـر

---

(١) إلى روح ابنتي الصغيرة.

وما جاوزَ الضحكُ همساً، بلى
صداه يرنّ كجسّ الوتر
وتبكي.. فأُشْبِهها بالزهورِ
إذا المزنُ خَضّلها بالدُرَرِ
وفي مُقلتيها تخال السماءَ
بكامل أنجمِها تزدهر

✡✡✡✡

فما غمرتْ حبَّنا نشوةٌ
على الحسنِ، تحت شعاعِ القمر
كجلوة «هندٍ» وقد أقبلتْ
علينا ، تَصَعّدُ فينا النظر
فتطفو على ثغرها بسمةٌ
نَودّ معاً لثمَها، لو قدر
وكم بذرتْ أمُّها قُبلةً
فملَتْ بفِيَّ لقطف الثمر

✡✡✡✡

ملاكي! حوتْكِ يدا جَنّتي
وبينكما أنا أحْظى البشر!

عيد الأضحى، ١٩٤٥

من ديوان : «شموع» ، ١٩٥٦

****

ليلاي(*)

«بورك للعروس في زفافها

كالسوسن الأبيض في عفافها»

ليلايَ! بالأمسِ كنتِ
كانما «هيَ» أنتِ

فتاةَ حُلمي... التي قد
تمثّلتْ ليَ.. بِنتي

كم ليلةٍ عدتُ فيها
في وحدتي، فاعنت

يطولُ منكِ انتظارٌ
فإن سكنتُ سكنت

وما رأيتُك يوماً
على الحضور مَنَنْت

حتى إذا لاح صبحٌ
سبقتِ لي الصُبحَ أنت

فيا لها سَبَحاتٍ
تمرُّ بي، منذ بِنْت

ذكراكِ فيها كنَجمٍ
يضيءُ لي حيث كنت

بوركتِ ليلايَ عِرْسا !
وطبتِ بالغد نَفْسا !

☆☆☆☆

---

(١) بمناسبة زفافها في ١٧ من ربيع الأول ١٣٧٠ هـ.

وكيف أنساكِ بنتي!
إذ كنتِ في المهد طفلَهْ
ترعاكِ عيني بحبٍّ
أرى لأمّكِ مثله
وكلُّ دنياكِ زَنْدٌ
وكلُّ زادِكِ قُبْله
تُقلّبينَ لِحاظاً
وما كلحظِكِ مُقْله
تَبثّني... وهواها
يظلّ يفعلُ فِعْله
ولا كنومكِ.. لا نَسْتَقِرُّ حتى نُظلّه
وتألمين فنخشى
عليكِ من كل غفله
وتنطقينَ فاهاً فو
كأنّما الكونُ حفله
بُوركتِ ليلايَ عرسا !
وطِبْتِ بالغد نفسا !

✲✲✲✲✲

ولستُ أنساكِ بنتي!
إذ كنتِ بعدُ غريرَهْ
حتى كتبتِ من العُمْرِ - باحتبائكِ - سيره
تَلهينَ في «العشِّ» شَدْواً
كأنّكِ العُصفوره
عليكِ ثوبٌ طويلٌ
وفي يمينكِ صُوره

تُهــيِّــئين لـهــا كُلْ
ــلَ جَـلْـوةٍ مَـنـظـورَه
فـتـنـثـرينَ عـلـيـهـا
مـعَ الـصـبـاحِ زهـورَه
كـم سـرّنـي أنّ بـنـتـي
«كـعِـرْسـهـا» مـسـروره
أُلـفـي إذا غـابَ بـدرٌ
عـلـى مُـحـيّـاكِ نُـوره
بوركتِ ليلايَ عـرسـا !
وطبتِ بالغـد نفـسـا !

✡✡✡✡

ولـسـتُ أنـسـاكِ بـنـتـيَ
إذ عُـدتِ فـي أَخَـواتِـكْ
مـا بـين صُـغـرى وكُـبـرى
وكـلُّـهـنّ كـذاتـك
لـهنَّ منكِ جـمـيـعـاً
مـعنى الحَـيَـا من حـيـاتك
تُـلـقّـنـينَ «ثُـريّـا»
و«مَـيّ» حُـسْـنَ الـتـفـاتك
كـأنـما كـلُّ شِـعـري
عـلـيـه رمـزُ صِـفـاتك
فـإنْ بَـسـمـتِ لأمٍّ
جـزتْـكِ عن بسَـمـاتك
بمـا يـردُّ لـثـغـرِ
– أحـبُّـه – قَـسَـمـاتك

حتى ليُفعِمَ قلبي

ما رقّ من نَفَحاتك

بوركتِ ليلايَ عرسا !

وطبتِ بالغد نفسا !

✡✡✡✡

ولستُ انساكِ بنتيَ

إذ انتِ ذاتُ نِقابِ

تَخَايلين على مَدْ

رَجِ الهُدى والصواب

مَعنِيّةً بشؤونٍ

مشغوفةً بكتاب

تُدرّسين صبايا

بلحنكِ المستطاب

وهنّ منكِ لينشقْ

ـنَ نفحةً من شبابي

إذ كنتُ – مثلَكِ – أُعْنَى

بالنشءِ ، رغمَ صعابي !

حتّى إذا عدتِ للبَيْـ

ـتِ عُدتِ لي.. ولما بي..

وللملابس تُكوى

لحَفْلةٍ او خِطاب

بوركتِ ليلايَ عرسا !

وطبتِ بالغد نفسا !

✡✡✡✡✡

وامسِ .. ليلايَ.. أمسِ

جُليتِ في ثوب عُرْسِ

فـــــالبـــــيتُ يـرقص تِيــــــهـــــاً

والـلـيـلُ مَـــــشْـــــرِقُ شـــــمـس

لـقــــــد اتـتـكِ حِـــــســــــانٌ

يـــخـــطـــرنَ ، مـــن كــــلِّ جـــنـــس

يـــــكــــــاد يمـــــلأ أُذْنـــــي

تـــغـــــــــــريـدُهـــنَّ بـــأُنْـــس

كــــــــانَّ امِّـكِ مـــــــــا بَـيْـــ

ـــنَـهُـــنَّ «وردةُ» امــــــــــــــسي

أمّــــــا ابـوكِ فـــــــقــــــد ظَـلْـ

ـلَ وحــــــدَه حـــــيث يُـمـــــسي

حـــــتى جَلَـونـكِ طِيـــــبـــــاً

ومـــــا الحـــــديثُ بـهـــــمـس:

«اخــــــتـــــــاهُ نـاديـه حـــــتى

يـرى الـعـــــروسَ.. بـنـفـــــسي !

فـــــجـــــئـتُ انـظـر فـي رَوْ

ضِــــهِـنَّ اطـيـبَ غـــــرسي

طبـــعـــتُـــهـــا قُـــبلةً فَـــوْ

قَ جـــبـــهـــةٍ مـــثـل وَرْس

لـيـــــلايَ بُوركتِ عِــــرْســـــا !

وطبـتِ بـالـغـــد نـفـســـــا !

مجلة الأديب – بيروت – ١٩٥١

من ديوان : «شموع» ، ١٩٥٦

****

ولكن لماذا

«إلى أختي نازك»

لماذا تَودّينَ قبلَ التململِ أنْ نفترقْ
وألاّ أعيرَ لعُودكِ أُذْناً وإنْ يصطفق
وهذا الغرامُ الذي كان يُرضعنا كأسَهُ
ويبعثُ كالنار في ميّت القلب إحساسَهُ
يرفُّ علينا
فنغمض عينا
ونُنكره رغمَ هذي الحُرَقْ
ونُخفت في القلب أجراسَهُ

✡✡✡✡

أمَا ظهرتْ في خضمّ الوجود بنا موجتانْ
قضى البحرُ الا تحسّا التلاطمَ إلا ثوانْ
وللريح ما حولنا – حيث طارت بنا – دمدمَةْ
وقيل لنا إنْ تألّقَ برقٌ فما أكرمَه
يضيُ الوجودْ
لأقصى الحدودْ
فبانَ لذاتي وذاتكِ شانْ
فهلا لقطنا معاً أنجمَهْ

✡✡✡✡

سلي كيفَ من بعدنا الشوقُ يبقى على حالهِ
وقد لا تطول بموجدنا حيرةُ الواله

فقد ننتهي قبل أن ترفعَ الريحُ أنفاسَنا
وقد لا نلمّ إلى سجدةٍ غيرها باسَنا
فما ضرّهُ
وقد سرّهُ
غداةَ خطرنا على بالهِ
لَوَ انّا جمعنا لها راسَنا

✡✡✡✡

تحدثْتِ عن نغمٍ في الشفاه كوقع الوترْ
تَلمّستِ في ظلمةِ الليل معناه حتى السُحَر
فما للّيالي تبوحُ وأنجمُها شاهدهْ
بأن حياتكِ مثلُ حياتي بلا فائده
وطَرْفُ السوادْ
الذي لا يكادْ
يحلم إلا بعمر القمرْ
يعود بأغْصُره البائدهْ

✡✡✡✡

أبالبرد تشعرُ من داعبتْ شُهُباً بالبَنانْ ؟
أيغمرها الخوفُ من جاء يسعى إليها الزمان ؟
هَبينا غريبين.. باعدَ ما بيننا كلُّ شيْ
اليس - فديتكِ - ازهارُ فنّكِ ملءَ يَدَيْ
خُذي من صلاتي
فإن حياتي
ربيعُ يجدّده طائرانْ
ستحيين للدفء ما انا حَيْ

مجلة الأديب - بيروت - ١٩٥٢

من ديوان: «شموع» ١٩٥٦

✱✱✱✱

أهكــذا..

.... في شرقنا العربي :

يعـقـدُ الجـيشُ حـفلةً.. باعـتـدادِ
كلمـا عـادَ خـاسـرا
هكذا الشـعبُ – غـفلةً – في بلادي
لا يَمـلّ الـمَظـاهـرا

✡✡✡✡

... الناس :

مَنْ أتى الناسَ ضـاحكاً.. لأذاهـمْ
ضـحكوا كلُّهم مَـعَـهْ
بينمـا لو بكى بكى لأسـاهـم
وحدهَ.. يا لها ضَـعَـهْ

✡✡✡✡

.... الشرق والغرب :

لا تـقلْ: إن في الـعِـدى كـتلتينِ...
مـا عـدوٌ كـاخـرِ...!
قـد خـبـرنا.. فـمـا عـدا حـالُ ذينِ
بـينَ صـادرٍ وصـادرِ

...... الشباب :

يا شـبـاباً، هـفـا لهـا ، كـفَـراشِ
كـلُّـنـا ذلـك الـبـطـلْ
غـايةٌ لن تنـالهـا بـارتـعـاشِ
اِغشَـها.. فهي تشـتعلْ

✡✡✡✡

.... الحرب :

قلتُ للحــــرب: اينَ ابنـاءُ صــــدقٍ
صدقُهم من غرورها؟
فـاسـتـمـرّتْ – ولم تجـبني بنطقٍ
في لظًى من سعيرها

☼☼☼☼

... الحب :

فُـجـعت في حـبـيـبـهـا، ذاتَ مَنٍّ
فَـهْي تذري شئونَها
ايُّ دنيـا وطيـبـهـا.. في التـمنّي
اسدلَ السـترُ دونها

.... الشاعر :

بثّ في الشـعــر وجـدَهُ، ثم نادى:
خنتَ يا ليلُ بلبلَكْ
فــرعى الليلُ عــهـدَه وتفـــادى
قـــولَه بالـذي مَلَكْ

☼☼☼☼

.... الماضي :

ذكــــريـاتٌ.. تمرُ بي منذُ امسِ
ليت للفـجـر نورَها
إيهِ يا نفسُ! جـرّبي فـضلَ كـأسي
فَـهْي تُعطي سرورَها

☼☼☼☼

.... الجنّة :

لا تقلْ: مــا رايتَــهــا ، فَــهْي مــعنى
غــاب عنّا مكانُهـــا
جنَّتي قــد اتيــتُــهــا، حــيث تُعنى
بجــريحِ حــســانُهــا

.... المجد

يــا ســــــراباً.. بـعــين رائيـــــه حقٌ
تحت مَجلى سمائهِ
كم من الحَـــرِّ والظمــــا رامَ خَلْقُ
عــبــثــاً بَرْدَ مــائهِ

صفر، ١٣٧٢ هـ

من ديوان : «شموع» ، ١٩٥٦

****

مشاركة

«إلى التي تعيش هناك وحدها»

انا لستُ وحدي في انتظارك
في الروض ألفُ فمٍ يُباركْ
لم يدرِ إلا بلبلٌ
ما كان عنكِ حديثُ جارك
فمضى يُلقّنه الخُزا
مى في الخميلة حول دارك
كم انبأتْ طَرْفي الحَشا
ئِشُ عن خُطاكِ، فلم أُجارك
حتى التفتُّ.. وكان أوْ
ولَ مَرّةٍ، دون اختيارك.....
فبدتْ بطلعتها كشَمْ
سِ الامسِ تسطع في نهارك
هذا الجمالُ عهدتُهُ
من قبلُ يحرقني بنارك
عطّرتُ من ذكرايَ ما
ضي حبِّها، فأتى يُشارك

✡✡✡✡

يا ثغرُ أَشْبَهُ من رأيْـ
ـتُ بها ، فديتُكَ في افترارك
أُصغي لسحر حديثها
في غير لفظٍ من حِوارك

انــا لاضــطــراري قـــــــد عـــــــــرضْـ

ـتُ مُــــــســلّــمـــــــاً، لا لاضــطــرارك

حَـــيَّــــيتُ فـــيكِ ومـــيـــضَـــهـــا

فـكــأنَّ دُرّي مـــن نُـــثـــــــــــارك

يا أخـــــتَـــــهـــــا، يا من تَـجـــدْ

دَدَ فــتُـــهـــــــــا لــي فـــي إطـــارك

فـلَــوَ انّــنـي أدعـــــــوكِ حُـــــبْـ

ـبـــاً بـاســـمـــهـــا «هـي» لـم أمـــارك

أَسْــــرَى عـلـى الـعـــشب الـنَّـسِـــيـ

ـمُ ، فـــمـــــال مـــيلَكِ في نِـفـــارك؟

حَـــــسْـبُ المفـــــــجَّع أنْ يـرا

كِ ، وإنْ تـمـلْـمـلَ فـي جِـــــــــوارك

مجلة الأديب - بيروت - ١٩٥٣

من ديوان : «شموع» ، ١٩٥٦

****

حـــواء

تَمـــثّل الحبُّ للفنّان بين يدَيْ
ذكـراه.. كـالنار تغشى طُورَ سيناءِ

وقـــال حين رآه في تَملمُلهِ
يُقلّب الطرفَ بين الزهرِ والماء

«يا من عَكفتَ على الدنيا وزينتَها
حتى صَممتَ عن الأنغامِ من نائي

تحيا الحياةَ بلا إلفٍ تلوذ بهِ
إلا ارتيادَكَ في أفياء فيحاء

حتى كأنَّ ضلوعاً أنتَ حاملُها
تُطوى على كبدٍ ليستْ بحَرّاء

هذا الوجودُ إطارٌ لا كفاءَ لهُ
وغايةُ الفنِّ فيه رسمُ «حَوّاء»

لها الشبابُ الذي تشفي برُقيتهِ
ما كابد القلبَ من صدٍّ وإغراء

لها الجمالُ الذي تعنو لعزّتهِ
فيما تُشاهد من ظلٍّ ومن ماء

لها الودادُ الذي تبقى أشعتُهُ
تنير خطوكَ في طوفان أهواء

كأنها الشمسُ إشراقاً.. تُبادلها
مـرآةُ قلبكِ لألاءً بلألاء

لا تكذبِ النفسَ في مجدٍ حلمتَ بهِ
فلستَ تُحسنُ إلا قولَ «أهواها»

✡✡✡✡

شُغِفْتَ بالحسن لا تنفكَ تطلبهُ
عيناكَ .. حتى ولو في كاس صهباء
وليس أجملُ ما في الكون من اثرٍ
إلا اقتباساً بدا من شكل حسناء
انظرْ إلى شفتيْها، هل ترى زَهَراً
يفترّ عن نُقَطٍ كالطَلّ وَطْفاء ؟
انظرْ إلى وجنتَيْها، هل ترى شفقاً
يلوح من شعرها في وَسْط ظلماء؟
انظرْ إلى ناظرَيْها، هل ترى ألَقاً
كانه صادرٌ عن كوكبٍ ناء ؟
ما في الطبيعة من حُسْنٍ فمنعكسٌ
عن صدرها البضّ في عينيكَ يا رائي
واطيبُ الطيبِ ما في الخلد من زَهَرٍ
وإنما غرسُها كفُّ «حوّاء»
فكيف تُكبِر من شان الجميلِ ولا
تُثيبها عن يدٍ قبّلتَ بيضاء
وما تؤمّل في الفردوس منفرداً
إلا رجاؤكَ ان تَحظى بلُقياها ؟

من ديوان : «العرائس»

****

في سكون الليل

غـفـــا الكونُ... إلا مـــا يكون من الصـُّـبـــا
إذا حــــرّكتْ مــــهــــدَ الزهورِ النواعسِ
تخـــالينهـــا - يا ميُّ - طُهـراً مُـجـسَّـمـــاً
على كلّ غـــصنٍ في الخـــمـــيلة مـــائس
ويحـــبس من أنفـــاسـهـــا الليلُ ريثـمـــا
يُخـــالطهـــا بردُ الندى المتـــقـــارس
فـــتُـرسل طِيـــبـــاً حـــولهـــا في دوائرٍ
تدور إلى أنْ يغـــمــــرَ الطيبُ هاجـــسي
وقـــد سكنتْ حـــتى المـيـــاهُ كـــأنهـــا
هنالك تُصـــغي في الظلام لهـــامس
يُصـــقّلهـــا مَـــرُّ النســـيمِ فـــتنجلي
بهـــا صـــورُ الأشـــيـــاءِ شـــبـــهُ رواكس
وينظر في مـــــرآتهـــا النجمُ حـــائراً
فليس يرى إلا شـــــرارةَ قـــــابس
أنـــزعـــمُ أن الـــلــــهَ أبـــدع هـــذهِ
لنقضيَ ريحـــانَ الصـِّـبـــا في المحـــابس؟

✲✲✲✲

ولا طيــــــرَ إلا وهْو طاوٍ جـنـاحَـــــهُ
على الرأس حـــتى المنكبين.. كـــبـــائس

تخالينه من لفّه الجيدِ ناعساً
ولكنّه - يا ميُّ - ليس بناعس

فإن لذكرى كلّ لحنٍ شدا بهِ
سحابةَ يومٍ هزّةً في المغالس

تُؤرقّه تلك الهواجسُ مَوْهِناً
فيُشفق من جرّاء تلك الهواجس

وكم دوحةٍ في الروض حال سوادُها
بأنوار بدرٍ شعّ بين المغارس

ليُلبِسَها من نسجه بعد عُرْيِها
نِقاباً لُجَيْنِيَّ السّنا كالعرائس

وتحت شعاع البدرِ أسفرتِ المنى
وعاينتُها تحنو حُنوّ الأوانس

تعالَي هنا.. نَخلدْ من العمر ساعةً
يداً بيدٍ في نجوةٍ وتَهامُس

مجلة الرسالة - القاهرة - ١٩٣٧ .

من ديوان : «العرائس»

****

مـــي

ولما تـفـــيّـــانا ظلالَ خـــمـــيـلةٍ
تَسـاقطَ مـــثلُ الدرِّ فــوق خُطانا
وحَـدّثتُـهـا بالحبّ - وَهْي مُـصـيـخـةٌ
على أملٍ ان تلتـــقي شـــفــتــانا
اشـاحت إلى الأزهار عنّي بـوجــهـهـا
دلالأ وقـــالـت لي : «كـــفى هـذيانـا
اتـامل مـني أن أُصـــدّقَ بالـهـــوى
جُـــزافـــاً.. وطَرْفي لا يراه عِـيـــانا؟»

✲✲✲✲✲

فـقلتُ لهـا : «يا ميُّ! مـا الروضُ ناضـراً
ولا الطيـرُ احلى مـــا يكون لِســانا
بأحـــسنَ من خَـدٍّ تَورّدَ في الصِّــبــا
وأعـــذبَ من ثغـــرٍ يفـــيض بيـــانا
لقـد كـان أولى أن نُبـيحَ لبـعـضنا
عـــوالمَ بعضٍ في ربيع صِـبـــانا
ومـا قـيـمـةُ الأزهارِ في جـانب الصِّـبـا
أليس الصِّـبـا - يا ميُّ - أعظمَ شـانا؟
أُناشـدكِ الحبَّ الذي عـــهــدُنا بهِ
سَـويّاً كـــاخـــفى مـــا يكون مكانا
الم تشـعـري شـيـئـاً تَمـثّلَ بيننا
لأولِ عـــهـــدٍ تَمّ فـــيـــه لِقـــانا؟

أبعدَ تعاطينا معاً كأسَ ألفةٍ
يجوز لنا الا نُحسَّ صَدانا؟
فما لكِ تَسْتعدينَ قلبي على الهوى
كأنكِ ما شاطرتِهِ الخفقانا!

✡✡✡✡✡

تعالَي إلى عهدٍ وثيقٍ من الهوى
نعيش عليه في الحياة كلانا
فلا يزدهي قلبي بشيءٍ مُؤَمّلٍ
إذا لم يصادف في فؤادكِ شانا
ونُفرغ في كاس الأمانيِّ حُبّنا
فتسعى به ما بيننا شفتانا
ولا نلتقي إلا كما لفّتِ الصَّبا
فُروعاً تفيّانا بهنَّ أمانا
ونختال في روض المحبّةِ وحدَنا
فلا يتغنّى طيرُها لسوانا
وإن تعهدي يوماً فؤادكِ خافقاً
شعرتُ لقلبي مثلَه خفقانا
كأنّ الذي ينساب ملءَ كليهما
صَبابةُ ما ساقي الغرامِ سقانا
وأناً نُبكّي كالطيور وجودَنا
بلحنٍ... وكالأزهار نضحك آنا
فنُسعد بعضاً باشتراك سرورنا
ونُسعد بعضاً باشتراك أسانا
كذلك نحيا بالسَّواء... وها فمي
ضماناً لعهدٍ لو أردتِ لكانا»

✡✡✡✡✡

فعندئذٍ مالت إليَّ ببِشْرها..

وملتُ... وأُنسينا الوجودَ كلانا

فأدنيتُ ثغري باشتياقٍ لثغرها

فما افترَّ حتى قبّلتُه حنانا

وطوّق زَندي خصرَها فتمايلتْ

عليه بغنجٍ ريثما تَتدانى

وقالت «إذن، هذا هو الحبُّ» قلتُ: «بلْ

هو الراحُ» قالت: «فلنبلَّ صَدانا»

مجلة الرسالة – القاهرة – ١٩٣٤

من ديوان : «العرائس»

****

القُبَّرة

تُحَوِّمُ في أفق السماءِ أصيلا
كنجمٍ تراءى للعيون ضئيلا
فيتّخذُ الصوتُ الذي تستجدّهُ
مع الريحِ في رحب الفضاءِ سبيلا
يدقّ على الأسماع خافقَ جَرْسهِ
فإنْ أعلنتْه الريحُ جاوزَ مِيلا
وتدركه شيئاً فشيئاً غِشاوةٌ
من الحزن حتى يستحيلَ عويلا

✡✡✡✡

اقُبّرةً! هل أنتِ في الجوّ قطعةٌ
من الحسّ سالت باللحون مَسيلا ؟
تُغالين في الألحان حتى إذا انتشتْ
بها روحُكِ الولهى خففتِ قليلا
كما تخفت الأوتارُ بعد رنينها
ويبقى صداها في النفوس طويلا
فقد برأ اللهُ الطبيعةَ وَهْيَ لا
تُحسّ به.. حتى بُعثتِ رسولا
فأحسنتِ في الترتيل حتى كأنما
بأيكِ ظِلُّ الروضِ صار ظليلا

ولَقنْتِنا سِـــرَّ الجـــمـــالِ ولم نكنْ

لندركَ - لولاكِ - الوجـــودَ جـــمـــيـــلا

فـمـا زهرةٌ في الروض تفـتـح جـفنَهـا

على الدمع إلا وَهْـي تَنْشُـــد سُـــولا

فـتُـغـرينهـا في شـجـوها بابتـسـامـةٍ

ببـــثّـكِ مـــعنًى للخلود جليـــلا

مجلة الرسالة - القاهرة - ١٩٣٧

من ديوان : «العرائس»

****

ليلى

قلتُ يوماً لابنتي ليلى وقد
أخذتْ ديوانَ «قيسٍ» تَتغنّى

فكأن الحسنَ أولاها يداً
فأرادت باسمه أن تتجنّى:

«طبتِ يا ليلايَ نفساً فافهمي
ليس كالشاعر في الأرض مُعَنّى

هو من أحلامه في جَنّةٍ
فإذا حدّثَ عنها قيل جُنّا

كلُّنا طائرُه في قفصٍ
إنما يطلقه المجدودُ منّا

لو درى الضاحكُ في سكرته
أنه يشرب دمعاً لتأنّى

والليالي يتطاولنَ إذا
أفلَ النجمُ الذي نوّرَهُنّا

قُمْنَ في عافيةٍ من حبّه
يتباهينَ به ما بينهنّا

يحسب الناسُ جَواه أدباً
قلّ من شاركه فيما أجنّا

ثم يطوي ليلَه صبحٌ فلا
هو للحبّ.. ولا مَنْ حَبَّهُنّا»

☆☆☆☆

فأجابتني غناءً في الصِّبا
بالذي حَيَّرَ مَن أكبرُ سنّا

«لا تسلني - فوجودي عدمٌ -
طائرُ الخلدِ هنا كيف اطمأنّا
هو يهفو لجمالٍ رُبّما
خفيتْ آثارُه في الكون عنّا
فإذا شاهدَه في روضةٍ
أو سحابٍ مثّلَ الإحساسَ فنّا
والذي يُطربنا من نغمٍ
مُسترقاً كلّما الليلُ أجنّا
لم يكن غيرَ نياطِ الحبِّ في
قلبه كالوتر الحسّاسِ رنّا
هو في نشوته يُفضي بها
نغماتٍ تملأ الآفاقَ حُسنا
لا تقلْ دنياكَ ظِلٌّ زائلٌ
فشعاعُ الحبِّ فيها ليس يَفنى
لو تجلّتْ قدرةُ الخلّاقِ في
لفظةٍ.. صاغ لها الشاعرُ معنى»

✡✡✡✡

وانحنتْ فوق يدي تلثمها
خجلاً - حين راتْ راسيَ يُحنى
ثم قالت وَهْي تلهو بالذي
قُلِّدَتْهُ دون أن تحملَ مَنّا
«حَسْبُ عِقْدي إن حوى واسطةً
ما لها في الدُّرِّ صِنْوٌ فتُثنّى
عشتَ للشعرِ ولي يا ابتِ
أنتَ للشعرِ ولي ما اتمنّى»

مجلة الرسالة - القاهرة - ١٩٣٩

من ديوان : «العرائس»

✱✱✱✱

قـــلادة

قـضـيـتُ شـبـابي بـهـا مُـغْـرَمـا
فـمـا كـان - ياقلبُ - أحـلاهمـا
تـعـيش بـأحـلامـه في ربيعٍ
وتحـيـا بـأنفـاسـهـا مُلْهَـمـا

✡✡✡✡

أتذكـر يا قلبُ سـاعـةَ قَـرّبْـ
ـتُ من فـمـهـا في جنونٍ فَـمـا
ومن حـولنا الزهرُ في حـالـتَـيْـ
ـهِ تُرقِص أيقـاظَه النُّوَّمـا
لقـد كنتَ كـالطفل فـيـمـا تُحسّ
وإحـسـاسُـهـا كـان بي أنْعَـمـا
فـألهبَ من خَـدّها جـمـرتينِ
وفَـتّقَ من ثغـرهـا بُرعـمـا

✡✡✡✡

أتذكـر يا قلبُ سـاعـةَ أرخَـيْـ
ـتَ فـوق ترائبـهـا مُنْعِـمـا
قـلادةَ دُرٍّ - زهتْ كـالدمـو
عِ حَـبّـاتُه - توأمـاً توأمـا
وَقَـولي: «اقْـبليـه فـدتكِ الحسـانُ
فلو أنّ كـفّي تطول السَّـمـا

إذن لجعلتُ نُثارِكِ منهُ
ونظّمتُها ثانياً أنْجُما»
فمدّتْ - لألثمَه - مِعْصماً
والوتْ على سِمطه معصما
وقالت: «اتنذره هو أيضاً
بتلك النجوم؟ فما أشأما
ملأتَ به بهجةُ ناظريَّ
فصدّعتَ بي قلبَه أعظُما
الحقر منشأه في البحارِ؟
ولولا تألمُه ما نما
أأُنكر عبرتَه في الحليِّ؟
ولم يبكِ إلا لكي ابسما
فحسبي به زاهياً كالنجومِ
وإنْ فاتني حظُها في السَّما
على الأرض لا يخلد الحسنُ حتى
يُقيم على نفسه مأتما
فيا ليتني إذ سمعتُ الحديثَ
عصرتُكِ - لا أدمعاً - بل دَما

جريدة «البحرين» - ١٩٤٠

من ديوان : «العرائس»

****

توطئة

دِنتُ بالفنّ صغيراً منذ شبّ الطفلُ فِيّهْ

لعبةً ترعى مجاليها العيونُ النرجسيّه

من رأى الخالقَ كالشاعر يختار رويّه

كلما وَقّع لحناً مثّلتْه البشريّه

فإذا المأساةُ والمهزلة اسمٌ لقضيّه

هي أسطورةُ حوّاءَ جرتْ في إثْر حَيّه

إنْ تُرجّعْها طيورُ الخُلْدِ انغاماً شجيّه

فهْيَ في كوكبنا الارضيّ أوراقٌ نديّه

طالما خَضّلها دمعُ ضحايا المدنيّه

غيرَ أن الدمعَ هذا قطراتٌ لؤلؤيّه

عطّرَ الفنّ - بما ندّتْه من زهرٍ - نديّه

١٩٣٧

من ديوان: «العرائس»

****

في الفردوس الأرضي

١ - نشيد آدم :

ورقة تين

أريني ناظريكِ... فما
صحا قلبي بإدمانهْ
لأسبرَ فيهما عمقَ الـ
ـمُحيطِ وراءَ شطانه
وخلّي خدكِ الورديَّ
يَفتنني بألوانه
لأنثرَ فوقه قُبَلي
وأطفِئَ بعضَ نيرانه
وضُمّي ثغركِ المحشوَّ
بالدُّرّ ومَرجانه
لأختمَ في ثناياهُ
رحيقاً راق من حانه
ودنّي صدركِ المصقولَ
مَزهواً برُمّانه
أُجِلْ شفتيَّ بينهما
وآنسُ رَوْحَ ريحانه
ولُفّي شَعْركِ الضافي
على ما ماس من بانه
أمَرُّ أناملي فيهِ
فيُعديني بطغيانه

فـــــلا يبـــــقى لقلبي مــــــا

يمجّ دمـــــــــاً بشـــــــــريانه

علـى إحـــــســـــاســــه إلاّ

وقــــــد بـالـغـتُ فـي شــــــانـه

جريدة «البحرين» – ١٩٣٩

من ديوان : «العرائس»

****

في الفردوس الأرضي :

٢ - نشيد حوّاء :

تفاحة

غادرَ كالشمعة جسمي لظاهْ
فكُنْ عليه لا له .. في هواهْ
كأنّما يصرعني ماردٌ
جُنَّ فما تسكن عنّي يداه
يصرخ للشهوة الأتّني
وفي قرار النفسِ يدوي صداه
إنّيَ من جَرّاه محمومةٌ
فاجعلْ مداواتَكَ لي بالشفاه
ثغراً على ثغرٍ.. ولا اتّقي
من مُطْرّفٍ يخزُني او سواه
انْعِمْ بحُسني لا باكفانهِ
فالحبُّ قد جرّدني للحياه
واخترْ لدنياكَ سبيلَ الغِنى
في شَعريَ المرسلِ حتى قفاه
فإنْ تراخت مثلَه رعشةٌ
اعضاءُ جسمي وتلاشت قُواه
وغمّتا عينايَ من حُمرةٍ
تلظى على وجهي بها وجنتاه
ضُمَّ إلى وجهكَ صدري ولا
ترفقْ بنهديَّ إذا لامساه

وارْشِفُهما بالفمِ رَشْفاً فكم
ضَيّقَ أنفاسيَ ما زرّراه
جسميَ روضٌ حافلٌ بالذي
تراه عينُكَ وما لا تراه
كان ليَ اللهُ ... لقد همّ أنْ
يعبقَ «نَوّاري» بأحلى شَذاه
وبعضُه التفَّ على بعضِهِ
فكاد أن يطوي على ما طواه
فانشرْ جناحَيْكَ على حسنِهِ
وبُلّ - في ظلّ جناحيكَ - فاه
نُجدّدُ العهدَ الذي باركتْ
ملائكُ الخُلْدِ لنا في سَماه

✡✡✡✡

فاعْجَبْ لِطاوُوسٍ جَلا ذَيلَهُ
لِناظرَيْ أُنْثاهُ زَهْوَ الحَياهْ
فانتشرتْ بين يدي حُسنِهِ
حتى إذا افترّا سَواءً ...طوَاه

من ديوان : «العرائس»

✱✱✱✱

أسطورة الخيام

(١)

في أرض إيرانَ حيث الهَضْبُ لابسةٌ

زنّـــارَهـــا

مـن الـثـلـوجْ

كـــالحُـــورْ

تستقبل الشمسَ .. والأنهارُ هامسةٌ

أســـــرارَهـا

بـــين المـــروجْ

لـــلـــنُّـــورْ

جــلا الربيعُ بنيــســابورَ مــوكــبَــهُ

فــزاد عِــيــداً إلى أعــيــادها الأُخَـــرِ

يا ناعــمـــاً في ربوع الخلدِ ليلتَـــهُ

مــسّتْ خطاكَ ثرى الوادي مع السَّــحَـــر

فلم تزل خُـــضَــراءُ الطيـــرِ تهــتف في

أفنانهـــا لنجـــومِ الأرضِ بالخــبـــر

حــتى تلألأنَ في ضـــوء النهـــارِ ثُنًى

وفـــزنَ منك فُـــرادى بالشـــذى العَطِرِ

فــالزهرُ في قــاعــهـا يفــتــرُ مَبــسـمُـهُ

يا ليلُ هل صبــغتْ فــاهُ يدُ القــمــر؟

والعشبُ من حولها يزهو بخضرتهِ

يا أفقُ! هل هو ميدانٌ إلى النظر؟

والطيرُ من فوقها في ظلّ وارفةٍ

يا غُصنُ! هل أخذتْه رَشّةُ المطر؟

والنهرُ من تحتها في موجه ألَقٌ

يا شمسُ هل هو مرآةٌ إلى الشجر؟

إني لأسمعُ في أرجائها ضَحِكاً

كنغمةٍ بعثتْها هِزّةُ الوتر

يا من يُؤمّل في الفردوس بُغْيتَهُ

قَررتَ عيناً بها في هذه الصور

لَبِّ الحياةَ فقد عمّتْ بدعوتها

وما الربيعُ سوى تجديدِ ذكراها

✡✡✡✡

(٢)

أتى الربيعُ إلى الدنيا كعادتهِ

بما اجتناهْ

من الجِنانْ

ملءَ اليدِ

فكاد يشغل عنها في عبادتهِ

بما رآهْ

من الحسانْ

في المعبدِ

وأقبلتْ تتهادى في غلائلها

بنتُ الجِنان تُحيّيها كحوّاءِ

لو حاول الليلُ أن يغزو غدائرَها

لماج يسأل: أين الكوكبُ النائي

تَضــاحكَ الوردُ لما قــيل «وجنتُــهــا»

أكنتَ، يا وردُ، مَــشــغــوفــاً بإطراء؟

فــاســفــرتْ عن مُــحــيّــا في بشــاشــتــهِ

يكاد يقطر منه الحــســنُ كـــالماء

شفُ الحـــريرُ الذي وارى ترائبَــهــا

عن فــاتنَيْنِ.. فــهل هَمّــا باشــيــاء

لم تســحبِ الذيلَ فــوق الزهرِ ســائرةً

إلا ومـــال يُزْكــيــهــا بإيماء

حــتى اتتْ مَــحْــفــلاً في الروض منزوياً

قـــد لاذ في السُكْر اهلوه بافــيــاء

هذا اخــو شــيــبــةٍ القى اليــراعَ على

مــا خطّه وانثنى في شــبــه إغــفــاء

فــهــيّــاتْ كــاسَــه... حــتى إذا نظرتْ

مــا في الصــحــيــفــة .... غَنَتْ للأحــبّــاء

- والشــوقُ في دمــهــا والعُــودُ في يدها

يُعــيــد نغــمــتَــهــا الأولى باصــداء -

«يا نائمــاً في ظلال الكرمِ وابنتُــهُ

في الحُلْم تُؤنسه.. قُمْ وارتشفْ فاها»

✡✡✡✡✡

(٣)

هذا الجــمــالُ الذي كم وَدَ ناظرُهُ

في مــيــعــةٍ

من صــبــاهْ

لــو نــالــهُ

يا وردُ! مثلكَ إنْ حيّاه شاعرُهُ

بنغمةٍ

مِن هواهُ

أصغى لهُ

«شيرينُ! غنّيتِ صوتاً كان يطربني

ليت الأحبّاءَ عادوا لي مع النغمِ

ناموا.. وهدهدتِ الأزهارَ بعدَهُمُ

يدُ الربيعِ على عيني.. فلم تنم

ذكّرتِني بشبابي إذ تطوف بهِ

في باحة الخُلْدِ آمالٌ مَدى الحُلُم

إذ كنتُ أُطلق نفسي في سجيّتها

فلا تَني السبقَ من جَرْيٍ على قدم

أشكو مواقعَ عينَيْ كلِّ فاتنةٍ

مفتونةٍ بالذي أجلو من الشَّمَم

باحت بسِرٍّ شَكاةِ القلبِ رائعةً

تلوح كالبرق في داجٍ من الظُّلَم

ما للبياض - أحال اللهُ جِدَّتَهُ -

يُفضي إلى الهمِّ ... لا يُفضي إلى الهِمَم

نُعدّ للصبر أنفاساً مُحرّقةً

حتى تَحولَ رماداً فحمةُ اللِّمَم

لأقطعنَّ نِياطَ القلبِ إنْ وجدتْ

نفسي سبيلاً إلى غرس المنى بدمي

فلو سفرتِ عن الآمال كان بها

ما بي من الزمن الموفي على الهَرَم

فـجَـدّدي لـيَ بـاللحـن الـجـمـيـلِ رؤىً
لا زلـتُ تـحـت ظـلال الـكـرمِ ارعـــاهـا
✡✡✡✡

(٤)

يا طَرْفَـهـا! إنه قَـضَـى الـحـيـاةَ إلى
مـشـيـبـهِ
في اكـسـتـنـاهِ
الشُّـــهُـبِ
وظلّ مَـجـمـرُه في الأرض مـشـتـعـلا
بطيـــبـــهِ
لإلــــــهِ
الحُـــــبِّ

«شـيـرينُ! حـسـنُكِ أعطى الأرضَ زينتَـهـا
حـــتـى ولـو لـم يزنْـهـــا كفُّ نَـيْـســـانِهْ
فكيف والـطيـــرُ قـــد بلَّ الندى فـمَـــهُ
فـطـار يملأ مَـــــغـنـاهـا بـالـحـــــانـه
هذا الربيعُ قـــد اســتلقى بـحـــاشـيـــةٍ
مـن الـزّهـــور عـلـــى الـوادي وشُـطـانـه
يُصـــيخ لـلبلبل الـعـــربيـــد.. وَهْـو عـلـى
أرجـــوحــــةٍ من نـســـيم الروضِ أو بـانـه
يـهــــزّ أرجــــاءَهـا هـزّاً بـنـغـــمـــتـــهِ
ولا يـفـــيـق – كـــان الـسكرَ من شـــانـه
فـلـقِّنِـيـــــه مـن الألـحـــــان أطـربَـهـــا
إلى الـنفـــوس... وجـــازيه بـإحـــســـانـه
وبـادلـي الـروضَ انـفـــاســـاً مُــــعـطّرةً
فــــمـــا أرقَّ الصَّـــبـــا في ظلّ افـنـانـه
وضـــاحكي الـوردَ في إبّان حُــــمـــرتهِ
فــربّمـــا عـــاد مطوياً لأشــجــانـه

ودونكِ النهرُ.. فانْسِي في تَدفّقهِ
هذا القميصَ الذي يُزري بإنسانه
أما كفى الحسنَ أنّ الموتَ يرصدُهُ
فما له في الصِّبا يسعى بأكفانه
وقبّلي الكأسَ ما دامت مُشعشعةً
ولا تشحّي على ثغري بُبقياها»

✲✲✲✲

(٥)

يا ربّةَ الحُسْنِ! إن السُّكْرَ مبعثُهُ
عيناكِ
وحدَهما
لا الكاسْ
وأين من شفتيكِ السِّحرُ ينفثُهُ
صرعاكِ
باسمهما
في الناسْ
طافت عليهم بها كالشمس ساطعةً
يرى على الخَدّ من لألائها شَفَقُ
فعبَّ فيها ثلاثاً وَهْي تسندُهُ
حتى تَماسكَ في أحشائه الرَّمق
وعاودَ العُودَ شيءٌ من تململهِ
لما غدا العُودُ بين الجمر يحترق
فظلّ يبعث في الأسماع أنّتَهُ
موصولةً دون أن ينتابَها قلق
ثم استمرّتْ تُغنّيهم - بما حملتْ
يدُ الربيع لهم - والعودُ يصطفق
«يا عاشقَ الوردِ! ما جاء الربيعُ لكي
يحيا حبيبُكَ محفوفاً به الورق»

وصـــوتُهـــا مـــاج بـحـــراً لا هـدوءَ لـهُ
من كلّ نجمٍ علـى أمـــــواجـــــه ألَـق
يـعلو.. فـتـحـسـبـه شَقَّ القلوبَ إلـى
حَـبَّـاتِهـا.. وطوى آلامَــهــا الـغــرق
حـتى إذا خفَّ - مـغـمـوراً بموجـتـهِ -
شـيـئـاً فـشـيـئـاً ... تراءى حـولـهـا الأفُق
فـــمـــال كلُّ نـديمٍ في تَـرنُّـحــهِ
على سـواه من الصـوت الذي عـشـقـوا
«فاقطفْه في زهـوه.. وانظرْ إلى دمـهِ
هل مازجَ الكاسَ إذ تسقي وتُسقاها»
✡✡✡✡

(٦)
بات الـهـزارُ بقـرب الوردِ يعـبـدُهُ
يـــا طـــلُّ
كنْ كـالـخـمـرِ
رقـــراقـــا
وقُلْ إلـى النجم إنّ الـفـجـرَ مـوعـدُهُ
يـــظـــلُّ
حـتى الفـجـرِ
بَـرّاقــــا
وتَـمّ للشــمـس في الأفــلاك جـولـتُــهـا
فـجـاوزت بخُطاهـا الـغـربَ في خَـفَـرِ
وظلّ من بعــدهـا مـا احـمـرٌ من شـفقٍ
يســائل الأرضَ هل غــابت عَنِ الـنظر
فـانفضَّ في الروض حـفلٌ كـان مُنشـدُهُ
من الطيـور وســاقـيــه من الزَّهَر
واقــبلَ الـليلُ يـحـدوه تَطلُّعُــهُ
إلى الذي خلَّف الـنـدمـــانُ من أثـر

يا ليلُ! إنفـرطَ العِقْـدُ الذي امـتـلأتْ
به يداكَ فـفـاضَ الكونُ بالـدُّرَرِ؟
لولا سناها لما عـاينتَ شـاعـرَهُمْ
وقـد تَوسّـدَ كـفَّـيْـه على النَّهَـر
بجنب شـيـرينَ.. مـاخـوذاً بروعـة مـا
تُدليـه في مـائه الجـاري من الشَّـعَـر
ووجـهُـهـا باسمٌ يُغني بطلعـتـهِ
عن الشـمـوعِ - ويُمناها على الوتر
قـال: انظري كـيف يبـدو في الظلام لنا
سِرُّ الجـمـالِ الذي يَخـفى مع السَّـحَـر
شـيـرينُ! لو كـان لي بعـد البِلى أملٌ
لما تمنّيتُ إلا ثـانيـاً عُـمُـري
فعشتُ في هذه الدنيا كعهدكِ بي
للحسن.. يُشعل لي ناراً فاغشاها»

✡✡✡✡

(٧)

للحسن فينا - كما فيه لنا - وَطَرُ
من لم يَحُمْ
بين يَدَيْ
نُـوْرِهْ
عاش الندامى وحَلّى كاسَهم قَمَرُ
على النغمْ
من عرش دَيْ..
جُـوْرِهْ
عـاد الربيعُ لنيـسـابورَ ثانيـةً
وقـد تبـدّلَ زاهي امسِـهـا بغَـدِ

فكان في الموكب التـالي كسـابقـهِ

يمشي مع الحُسنِ مختـالاً.. يداً بيد

كم ذاب قلبُ هَزارٍ في تَرنُّمـهِ

حتى تَضوَّعَ هذا الزهرُ وَهْو ندي

عاد الربيعُ.. وقـد حفَّ الحِسانُ بهِ

إلا الذي كان يهوى الحُسْنَ لم يَعُد

سَلِ الورودَ وقـد وارت بكِلَّتِهـا

ضريحَه لِمَ لمْ تُكْثِر من العـدد

هناك حيث قديماً طاب محفلُهُمْ

حلّ الندامى على أنماطها الجُدُد

عاد الربيعُ.. فلا ردّوا تحيّتَهُ

إلا بأحسنَ منها - دائمَ الأبد

بشعلةٍ في يديها.. روحُ شاعرهمْ

مثلَ الفَراشِ حواليْها مع الحَشَد

حتى إذا تَمَّ دَوْرُ الكاسِ بينهُمُ

تهتزّ أوتارُه من صوتها الغَرِدِ:

«واضيعةَ الكاسِ يوماً إن عثرتُ بها

على رفاتي.. فلم أنعمْ برؤياها»

مجلة الرسالة - القاهرة - ١٩٤٠

من ديوان: «العرائس» .

****

الخيامـيــات

أفِقْ يا نديمُ اسـتـهلَّ الصّـبـاحْ
وبـاكِـرْ صَـبـوحَكَ نَخْبَ المِلاحْ
فـمُكْثُك بينَ الندامى قليلٌ
ولا رَجـعـةٌ لكَ بَعـدَ الرواحْ

لقد صاحَ بي هاتفٌ في السُبـاتْ:
أفيقوا لرشفِ الطِّلا يا غُفاةْ!
فما حـقَّقَ الحُلْمَ مثلُ الحَبابِ
ولا جَدَّدَ العُمْرَ غيرُ السُقاةْ

ألا أترِعِ الكأسَ نَخبَ العَـدَمْ
فـمَنْ نامَ منّا كـمَنْ لم ينَمْ
ولا أمْسِ ظَلَّ ولا الغَـدُ حَلَّ
فـمـا يَمنعُ اليَومَ أن يُغتنَمْ؟

فـهاتِ حبيبي لي الكأسَ هاتِ
سَأنسَى لها كلَّ مـاضٍ وآتِ
غَداً؟ ويحَ نفسي غداً قد أعودُ
وأَغْـرقُـهم في البِلى مِن لِداتي

إلهيَ! رُحـمـاكَ أينَ الصَـبـاحُ؟
فـقلبي يكاد أسًى يُسـتـبـاحْ
وغُـفْـراً.. لساقٍ سَعتْ بي إليـهـا
جُنوناً، وراحٍ تَـمـادتْ بِراحْ

وكـم لِـيَ مـن تـوبـةٍ عـن جَـنـاهـا
فـهل كنتُ أصْـحـو وقد عِـفتُ فـاها؟
ويَـنـفـحُـنِي الـوردُ وَرْدُ الـربـيـعِ
فـلا أملكُ النفسَ حـتّـى تَـراهـا

لَئِنْ قُـمتُ في البَـعثِ صُـفْـرَ اليَـدينِ
وعُطّلَ سِـفْـرِيَ من كُلِّ زَيْن
فـيَـشْـفـعُ لي أنّنِي لم أكُنْ
لأُشـركَ بـاللّهِ طَرْفَـةَ عَـيْنِ

أ آلـهـةَ الخَـمْـرِ! بئسَ التَـجنّي
قَلَبْـتُنَّ للصَبِّ ظَهْـرَ المِجَنّ
طرَحْـتُنَّ في الكاس بُرْدَ وقـاري
عـرَضْـتُنَّ جِـدّي لِلَـهـوِ المُغنّي

نَذرتُ لِحُـسنِكِ نَجْـوى صَـلاتي
وفي غَـمْـرَةِ العِشقِ ضَـيَّعتُ ذاتي
فلوْ خَـيَّـروني.. لَمْ أرضَ إلاّ
بتِلكَ حَـيـاتي - فـأنتِ حَـيـاتي

سـيَـحـيَـا لحـبّك قلبي المُعنّى
لِـجَـوْرك، مــا دام وعــدُكِ مَنّا
لطَرْفِكِ، يَسقي مع الخمرِ خَمراً
فــيُــبــدعُ - فَنّاً - وأُبدعُ فنّا

ويا لَيتَ شِعري أتلكَ الزُهورُ
عرائسُ تُعمَى جَلتْها السُتورُ؟
فمِنْ قُبلةِ الشَمسِ هذا الحياءُ
ومن لُؤلُؤِ الطَلِّ ذاك السُرورُ

فَجَدِّدْ معَ الكاسِ عَهدَ غَرامِكْ
وحَلِّ مَرارتَها بابْتِسامِكْ
وعَجِّلْ فَجَوقَةُ هذِي الطُيورِ
قد لا تُطيلُ الطَوافَ بجامِكْ

ويا وهَجَ القلبِ كُنْ مُحرِقا
صَبوتَ فزادَ الصِبا رَونَقا
وما اضيَعَ العُمْرَ لو أنَّني
حَملتُكَ من غَيرِ أن تَخفِقا

لئن عادَ عِندَك مَدعاةَ نُكْرِ
بُكوري لِشُربٍ ونَومي بسُكر
فما اسفي غَيْرَ أنّيَ ضَيّعتُ
في الصَحْوِ أجْملَ ايامِ عُمري

من كتاب «الخياميات» - ١٩٩٧
رباعيات عمر الخيام - ترجمة ونظم: إبراهيم العريض

****

برقيّــة

«إلى رفيق العمر حبيبي نزار»

نَعِي.. فـإذا الرَمـزُ عَينُ الظُهـورِ
وما «الحَيُّ» إلا بمعنى الـحُضورِ
ومَـــوكُـــبنا بَـين نـارٍ ونورِ
نُلمُّ باحــــداثهِ فــــي ثـــوانٍ ونُلغِي القُرونَ لبُطء المسـيرِ

✡✡✡✡

فـيا راصـداً كَـونَنا في كـيـانِهْ
وكــــانَ لـه أثرٌ في زمـــــانهْ
يَزيدُ وينقصُ حـــسبَ اوانِهْ
ولـم نَعْدُ عن كونِنا فــــي مَداهُ على زبَدِ الـمَوجِ حَبُّ جُمــانهْ

✡✡✡✡

افي عُنفُوانِكَ؟.. هـا انتَ حَـقّـا؟
على الـجَنْبِ في بَعضِ مَثواكَ مُلْقى!
سـلامـةَ عُـمـرِكَ! عِشتَ لـتَبقى!
لكم قَبلَها فوق تلـــك الـحُشودِ جَلجَلَ صوتُكَ رعـداً وبَرْقــا!!

✡✡✡✡

هُواةٌ؟ بغُــربتـــهم في الوطَنْ
بلا سِـــحــــرِمِ بَينَ فـنٍّ وفَنْ
إزاءَ تَـحــــرُكـــهم في الـزمنْ
فقاقيــعُ تُشــــبِهُ امثــــالَها تَنوءُ بــدَورٍ.. كــانْ لــم يَكُنْ!

١٩٩٧/٩/٢٩

من ديوان: « يا أنت» ١٩٩٨

****

أتبقى كذا

أتَبقى كذا؟
في زمانِكَ
ظلّا
تَعيشُ
بتقليدِ ما جاءَ نقلا
تُكفّرُ
مَنْ يُنكر النقلَ أصلا
ومَنْ
فوقَ دُنياكَ
شاهدتَ جاهَهْ
بنَى هو اقمارَهُ
واستنارْ .

✡✡✡✡

وها أنتَ! - لامِ كما كنتَ قبلا
وإني لأعلمُ
منذُ متى كانَ ذاكْ
احقّاً - امامَ خُطانا؟
أمامَ خطاكَ وجدتَ الصراطَ
طريقَ هُدانا، طريقَ هُداكْ
جدارا؟ .

✡✡✡✡

أكان مصيرُ البشرْ..
بأن يتطوَّرَ للأحسنِ؟
فطالت خُطاه، وأمُّ القمرْ
ليبحثَ في الكَونِ عن مأمنِ
فأرسَى حيالهُ؟ .

من ديوان : «يا أنت» ١٩٩٨

****

لا كان أمس

وما خَطبُنا اليومَ؟
ماذا يُقالُ؟
ونحنُ الذين سدَدْنا المَسالِكْ!
طريقَ الهُدى لم يَعُدْ مُستقيماً
ولا هو سالِكْ
لكَثرةِ ما طُلَّ فيهِ
دمُ الأبرياءِ
اغتيالاً .. وصَبرا .

✡✡✡✡✡

صراطٌ أمامَ خُطانا
نراه على ضوء ما كانَ امسِ
(لا كانَ امسِ)
جَوازاً لمستنقعٍ في الدماءِ
كما لو بَنَينا هُناكَ
جِداراً
فيا شرَّ حالَهْ!

من ديوان: «يا أنت»، ١٩٩٨ .

****

في الشتات

وما من مُفارقةٍ بينَ أمّتنا وَبقايا الأُمَمْ
سوى أنَّنا في الأساس نَدينُ بأعلى القيمْ
ولكنْ هنا عَبثُ العابثينْ:
رَأَوْا هُمْ...
مُصلِّينَ قد وحّدُوا صفّهم في الصَلاةْ
عَلى كل أرضٍ
جُموعاً غفيرةْ
فهالهمو ما رَأَوْا..
فاستباحُوا طريقَ القناةْ
وَبثّوا الوُلاةْ
بدفعٍ وقَبضٍ
لأقبحِ سيرةْ.

☼☼☼☼

ولا عند أنفسنا
نحن كنا سوى «فِرَقٍ» في الشتاتْ
تُسَرُّ بإرهابها
بلْ بحربِ الإبادةْ
بَعضُها ضدٌّ بعضٍ
ولا منْ جريرةْ.

☼☼☼☼

أليس بفالكَ..
ما زال ماضيكَ مرآةَ حالكْ؟

ترى الغيبَ فيها بعين خيالكْ؟
ولا غَدَ....
تناى به عن ضلالكْ؟

✡✡✡✡

وكانت كبيره
بلا شكٍّ واعٍ، ولا من يقينِ
سوى أنَّ «حرزَ» الشهادةِ
«بالمعنَيَيْنِ»
وقفٌ على الفرقةِ الناجيهْ
فرضَ عَيْنْ
فعنهُمْ..
وعَنها «الحديثُ» يُثيرُ شُجوني!

✡✡✡✡

فكيف الإقاله؟
ومنذ أوائلِ من حَدَّثوا..
لم نزل نحن - عبرَ القرونِ -
كما لو رضينا بأن نلعقَ السمَّ
حتى الثُمالهْ!

من ديوان: «يا أنت»، ١٩٩٨ .

****

قصب السبق

إلى اليأس اقربُ ، ما ارتجيهِ
فتلكَ قضايا لنا - مُستَحيلَةْ
وإنْ هي تَمّتْ ، وإنْ لَم تَتِمّ
فليستْ سوى غايةٍ... لا وَسيلَةْ

✡✡✡✡

فسَوفَ يظلُّ التسامُحُ مفتاحَ كُلِّ الحُلولِ
فَنَحفَلُ بالغدِ - لا بنُجومٍ وسَاسَةْ
وعَهدِ الخلافَةْ
فلا احسَبُ الدينَ مَسرَحَ «قالٍ وقيلٍ»
وثَلّةَ أسماءِ مَنْ مَثّلوا باسمهِ
لِنقرِنَ أدوارَهُم بالقداسَةْ
ونَنسَى الرِيادةْ!

✡✡✡✡✡

فقَد رَضيَ اللهُ عن خلقهِ اجمعينَ
جَلالاً - وقدَّرَ مَجلى رضاهُ اكتمالا
فسبُحانَه إذ قَضى بينهُم «كُلّ تلكَ الخلائقْ»
قَضى لابنِ آدمَ وَحْدَهْ
«لإحرازهِ» قَصَبَ السبقِ دوماً
بأن يستعينَ
وأن يتعالى
وكالنيِّرات يَشعُّ جَمالا
فيَحيَا احتفالاً - إلى ابد الآبدينَ

ويبقى سُؤالا
ولا كالحقيقة نعجَزُ عنها خَيالا!

✡✡✡✡

فيا أنتَ!
ما أنتَ في كُلِّ هذا...
حِمىً وملاذا؟
وفي عالمِ الغَدِ
لو كنتَ تَعلمْ...
بِحُرِّية الرَأيِ نفيٌ لوضعٍ مُشرذَمْ
«معاصيه أكثرُ فيما يُحَلَّلُ...
لا ما يُحَرَّمْ»
فما بالُنا لا نُحقّقُ للغَدِ فالَهْ.

✡✡✡✡

صُروفُ الزمانِ رَأتْ دَورَنا
في السِّياسَهْ
(وقد طالَ)
لا يَتَعَدّى الرئاسَهْ !
ونَفرُضُه في العبادَهْ
قِبالَ «عَدُوٍّ» حَريٌّ بِنا أن نخافَهْ
فَنلقَى مآلَهْ!

من ديوان: «يا أنت» ١٩٩٨ .

****

غرة الشهر

انصدقُ انفسَنا بالحقائقْ
ونقتلعُ الشرَّ من جَذْرِهِ
ولو قد فعَلْنا بدون عوائقْ
واسعفَنا النُورُ في نَشرِهِ:

✡✡✡✡

إذَنْ لسَالنا..
ولَم نَخشَ ردَّ السُؤالِ
ففي حكمة الردِّ (لا الردِّ) عينُ الأصالهْ
يُعقِّبُ خَصمُ عليه بما قد بَدا لَهْ
وما ليسَ يَخطُرُ في الشرقِ يوماً ببالِ

إذنْ لَتَحسَّنَ نوعُ العلاقاتِ فينا
وعاملُنا آمنٌ رِزقَهُ في القِطافِ
يُجيزُ له في التَباحُثِ حَسْمَ الخلافِ
ويضمنُ إنْ سارَ ، في غُربة الدارِ، زَادَهْ

إذَنْ لقَضَينا علـى كُلِّ ما يَصطَلينا
يُثيرُ العِداءَ ، ويُورِي زنادَهْ .

✡✡✡✡

وَفي غُرّةِ الشهرِ من كُلِّ عَهدٍ

يَلينا

كما وَحَّدَ الناسَ قِبلَتُهُم

في العَدالهْ

نُناجِي – بحقٍّ – هِلالَهْ

ونَحيا مِثالَهْ!

من ديوان : «يا أنت» ١٩٩٨ .

****

من بين الأشواك(*)

أين للبلبل أن يُلقي بيانَهْ
وهو لا يعرف في الظلّ مكانَهْ
فَتْرةٌ مَرّتْ عليه في الربى
كان كالمشدوه في حمل الامانه
فإذا أرسلها ضاحكةً
هزّتِ الاصداءَ بالوجد كيانه
وسرتْ في الروض منها نفحةٌ
طفق الفجرُ بها يُغري حِسانه
مَتّوّحتْ تلك الربى من زهرها
افةٌ لم تتركِ الطيرَ وشانه
فإذا لاذ بصمتٍ بعدها
فلكي يطوي عن الإفك لسانه
ما الذي قَرّتْ به عيناه مِنْ
مشهدِ الحُسْنِ فيُوليه حنانه
لا يرى الروضَ على حالته
ضاحكَ الوردِ، ولا يُبصر بانه
لو تَبدّى «اليأسُ» في وحشته
شبحاً يمشي على الأرض.. لكانه
يا ابنَ ودّي غاب عنه أمسُهُ
لا تُذكّرْه - وقد فات - زمانه

****

(*) مرفوعة لفضيلة الشيخ عبدالحسين الحلّي.

إلى الأستاذ أحمد صبري

يا عبقريَّ العصر غيرَ مُدافَعٍ
والكوكبُ الوقّادُ في ظلمائهِ
مضتِ القوافلُ وَهْي تخبط في الدجى
حتى استضاء فكبّرتْ لضيائه
ما سَرّني مدحيه إلا بعد أنْ
ألفيتُه للشرق بابُ رجائه
تلك القرونُ .. كأنّما هي ليلةٌ
ليلاءُ، أسفرَ صبحُها بذُكائه
إن الذي برأ العقولَ سما بها
صُعُداً وخصّكَ دونها بسَمائه
فاسلمْ! فما هذا الزمانُ سوى فمٍ
يشكو ، وتعلم أنتَ موضعَ دائه
ما كان للصحراءِ أن تظما وفي
أعماقها هذا الغديرُ بمائه

١٩٤٥/١/١٨

****

نشيد أطفال الحضانة

أعزُّكُما معاً يا والديّا
فنيْلُ رضاكما فرضٌ عليّا

حنانُكما نشأتُ به مُفدّىً
وظلُّكما رفلتُ به هنيّا

ويا وطناً رعى مَهدي صغيراً
ليعهدَ لي رعايتَه فتيّا

لأغنى من وجودي وَهْو فانٍ
حِماكَ وقد أتاح ليَ الرُّقيّا

حباكَ البحرُ أثمنَ ما لديهِ
ورملُكَ منه أثمنَ ما لديّا

أبا حَمَدٍ لكَ القِدْحُ المعلّى
ملأتَ رحابَنا زاداً وريّا

ليُعلنَها الخليجُ بكلّ فخرٍ
هي البحَرينُ باسِمةُ المحَيّا

لآلئُ ضمّها عِقْدٌ نضيدٌ
على صدْرِ العروبةِ كالثريّا

فيا وطني! تعيش لنا غنيّا
ويا وطني! تعيش بنا قويّا

١٩٨٠/١٢/٩

****

يا خادمَ الحرمين

يا خادمَ الحرمينِ حسبُكَ سُؤدداً
في الغربْ أنكَ خادمُ الحرمينِ
دأبُ الملوكِ صغارِهم لكبارِهم
وكأنما هم يزلفون بمَيْن
حتى كشفتَ إلى الحقيقة حالَهم
ما أكفرَ الانسانَ في الحالَيْن
آثرتَ لله «الجلالةَ» وحدهُ
وحملتَ عبئَكَ حافيَ القدمين
فَهْدٌ وخالدُ للخلود وفيصلٌ
ما عطَّر الذكرى كعقل الزَيْن
ألقاكَ من سبقوكَ أعظمَ منهُمُ
ويراكَ من تبعوكَ قُرّةَ عَيْن

****

شواظ جحيم

فداكِ سناً كلُّ من لا يغارُ
تشابَهَ ليلُهُمُ والنهارُ
ولو قلتُ يفديكِ ذو غَيْرةٍ
لعزَّ الفداءُ، وطال انتظار
أأرثيكِ؟ انّكِ لم تبعدي بَلْ
سعدتِ ببقاءٍ فانتِ الديار
تحوّلتِ للخُلْد في ومضتينِ
كانّ حياتَكِ لا يستعار
رآكِ العدوُّ شواظَ جحيمٍ
غداةَ بدا لكِ منهم قِطار
فهل عاينوا غيرَ إرهابَهم
يدور بمصرعهم حيث داروا
عجبتُ لأنثى ابتْ أنْ تُعا
نِقَ إلا الحِمامُ فطاب الخِيار
مضى العهدُ قبلكِ ليلَ حِدادٍ
فلا حقٌ، لا ملجأً، لا قرار
لقد جمدَ الحزنُ في العين دمعاً
وعاد إلى القلب وَهْو شَرار
بطول مآسيه حتى انطلقتِ
شهاباً وإذ للنضال انفجار

تَبـاهي فـمـا في رُبى الخلدِ قَطُّ
زان بجلوة عـرسٍ إطـار
كـجلوكِ.. إذ كـبّـر الخـالدونَ
ومـا كـان أحـلاكِ لولا الغـبـار
وافـتـنُهم بكِ كـان الشُّـراةُ
وبينهُمُ طـاب منكِ الحـوار؟
فـهل بعـد سـعـيكِ فـضلٌ لساعٍ
وعـاش بمـثـل طِلابكِ ثـار؟
وهل مـثـلُ حِنّاكِ شـاهدُ عـرسٍ
وحلّى كـمـثـل «يديكِ» سِـوار؟
وكـلّلَ حـين تـطـايرَ شَـعـرُكِ
هامـةَ مـثـلكِ في الحـرب غـار؟
وأنتِ كـفـاكِ من الخُـلْـدِ أنْـ
ـنَكِ جـاورتِ ربّكِ نِعْمَ الجِـوار
على الريف بعـدكِ أشـرقَ بدرٌ
وصـفّقَ نهـرٌ وغـنّى هَزار
وفي الحـرب حـولكِ تضحك للمَـوْ
تِ أعـينُ أحـرارها إذ تُـثـار
تَبـاهي فـمـا لجـلال الشـهـادةِ
داعٍ وعى كـيف يُحْـمَى الذِّمـار
تَجـمّعَ في حـشـدهم كلُّ لَسْنٍ
وأمّـا تَدافـعُـهم فـاضـطرار
فـإنْ وحّـدَ العُـرْبُ يومـاً خُطاهم
وشـايعـهم مـجـدُهم حـيث سـاروا

فــــانتِ سَناً قـــــد انرتِ الطريقَ

ودون الردى لا يتمّ انتـــــصـــــار

لقــــد قـــصـــرتْ عن مـــداكِ الملوكُ

فـــحـــســـبُكِ انّكِ انتِ المنار

نفـــذتِ كـــســـهمٍ إلى مـــا اردتِ

وبين خُطاهم يلجّ العِـــثـــار

تَراوحَ حـــيث التــقى جـــمـــعُـــهم

كـــامسٍ ليَـــصـــدرَ ليـــلاً قـــرار

فـــلا كـــابدَ الخـــوفَ منهم صـــبـــاحـــاً

عـــــدوٌ ولا آنسَ الامـنَ جـــــار

كـــــانَ الـعـــــروبةَ عندكِ صَـــرْحٌ

ومـــا باســـمـــهـــا يُعلنون انهـــيـــار

إذا الأرضُ تحت احـــتـــلالِ الغـــزاةِ

فكلُّ ســـلامٍ مع العـــجـــزِ عـــار

****

سعاد الصباح

طاولي كلُّ طَوْدٍ اشمٍّ
ما عهدناكِ إلا كامٍّ

يا ابنةَ الخُلْدِ أيُّ علاءٍ
لُحْتِ منه لصادق حُلْمي

حزتِ في الخَلْق وحدَكِ قلباً
نَيّراً بينما الحبُّ يُعمي

تستظلّين رايةَ عِزٍّ
ولنجواكِ لألاءُ نجمِ

كيف عايشتِ أهلَ جِوارٍ
خانقٍ بين خالٍ وعمٍّ

كم تنادَوْا لبعض قضايا
وتمادَوْا بها دون حَسْمِ

لقّنتْ ضربةُ الشمسِ درساً
كلُّ رامٍ فما عاد يرمي

✡ ✡ ✡ ✡

يا ابنةَ الخُلْدِ محضُ دعاءٍ
قدرُ اللهِ... همُّكِ هَمّي

مع تلك النوايا خُلوصاً
كالأعاصير وَسْطَ الخِضمِّ

أن تَقَرّي بدنياكِ عيناً
في الورى بين مَدْحٍ وذَمِّ

لقـــرار كـــبَـــرقـــةِ مُـــزْنٍ

من تُسَـــمّين ، مـن لـم تُســـمّي

في احـــتــجـــاز الأخصّ ، سليـــهـم:

كـــــيـف ضـلّـوا طـريـقَ الأعـمّ؟

حـــــيـث يـزهـو سِـــــواهـم بـاتٍ

هـــم بمـــاضٍ - لــــدورٍ أهـــمّ

هـو عَـــوْدٌ على البـــدء ، حـــتى

عـنـد مـن عـــاش غـــيـــرَ مُلِمّ

بغـــرى أمّـــةٍ في انفـــصـــامٍ

أيُّ دَوْرٍ يُـــــراد لأمّـــــي!

لـيـس (مـــا قــدّروه عـــلاجـــاً

شـــافـيـــاً) غـيـــرَ جُـــرعـــةِ سمّ

إنـهـم أمّـــةٌ في انقـــســـامٍ

عَـــوْدُ قـــاضٍ وحـــيـــرةُ ذِمّي

لـم يـغـب عـنـكِ مـــا غـــاب عنـهـم

بدّلَ القـــرنُ كَـــيْـــفـــاً بكَمّ

هـم كـــحـــادينَ خـــارت قُـــواهـم

فـــــانـاخـــــوا وركْـبٍ أصـمّ

يـا لـذاكـــــراكِ والـلـيـلُ داجٍ

أيـن عـن مـــثـلـهـــا بـدرُ تمّ

****

مرة في الزمان

سَمِّ ما شئتَ صُنْعَنا في الرباطِ
قِمّةٌ سيلُها يعمّ الشواطي
في المسيرات ما لزخمٍ سُموقٌ
فالمغالون ضِدّ كلِّ انضباطِ
وحدَها - لقطةٌ حياتُكَ لولا
طولُ عُمْرٍ مُدَرّجٍ في النشاط
لقطةٌ لا تُجاوز الصفرَ قَدْراً
مع أخرى في القَدْر مِليونُ واط
مَرّةٌ في الزمان عشتُ مثالاً
لو وعى الخَلْقُ هَدْيَةً للصراط
ليس خيراً ما شبّه الحقّ فيهِ
ليس شرّاً ما زانَ توبةَ خاطي
بَشَرٌ.. عاجزون في كلّ أرضٍ
سِمةُ القابعين تحت السياط
لا بمعنى عجزِ الريادةِ صِرْفاً
بل لذاك الشعورِ بالإحباط
سوف ترضى عصرَ الانابيبِ أم
عهدُها بالرعيل لفُّ القِماط
لم يعطِّلْ شمولَها في النوايا
كبقاء الجنسين دون اختلاط
ما أبرَّ الشهيدَ - مات ليحيا
نقطةَ الفصلِ في اتّساق النُّقاط

٢٠٠٠/٩/١٦

****

مرافعة بين العلم والدين

على لسان العلم :

صمدنا له.. ضائعاً في الزمانِ
تجاهل في الفنّ أطوارَهُ

تُباح الحقوقُ فيُدعى ضميرا
وكم حوّلتْه السياسةُ نِيرا
فما سايرَ العصرَ حتى قضاءً
ولا ناجزَ الحكمَ حتى مُشيرا

قُداماهُ... هل توّجتْ قطُّ نصرا
بدون حشودٍ تظلّ كأسْرى
لواقعهم في انتظار الخلاصِ
وبُشراهُمُ أنْ غدا الغيبُ بُشْرى

جهادٌ رَضُوه بمعنى القدرْ
تَعزّزَ من حُجّتَيْه السُّوَرْ
وكَلّوا... وما قطُّ كلّ اللسانُ
فلا الخيرُ خيرٌ ولا الشرُّ شَرْ
سلي اليومَ: ما خطبُ أهلِ الجِنانِ
سلي القدسَ : هل آمنتْ جارَهُ

على لسان الدين :

كفرنا به.. تائهاً في الفضاءِ
وقد حَمّلَ الخَلْقَ أوزارَهُ
نماها ديوناً فالغى المعاشا
وتنميةُ بالرِّبا تتلاشى
مُبطَّنةٌ حولنا لانفجارِ
وعدوى المجازرِ بين العطاشى

كذلك في سعيه للسلامِ
هلاكُ الألوفِ برمية رامِ
تلا آيةَ النورِ لا للتجلّي
ولكنْ لطمس القُرى في الظلامِ

تمادى لعين الخفاءِ الأثرْ
بفضل التنافسِ في المختبرْ
لعرض محاذيرهم بالسخاءِ
أفي الشرِّ خيرٌ وفي الخيرِ شَرْ؟
وتلك محطّاتُهم في السماءِ
بإرهابها هل محتْ ثارَهُ

قرار المحكمة :

نُقرِرّ أنا نظمنا الصفوفَ
مرافعةً دون أن نلتزمْ
فإنَّ لضِدّيّة الجانبينِ
فصولاً تطولُ وقد لاتهمْ
مُثولُكما إذ يصحّ مثالاً
لعمق المعاناة بين الأممْ

تموج نظائرُها كالسرابِ
لعين المحققِ منذ القِدَمْ

بحَيْوانها آمناً في الكهوفِ
وإنسانها عاثراً بالقيمْ
وذاك يزيدُ وهذا حسينْ
كشأنِكما بين مدحٍ وذمْ
فليس لمحكمةٍ قد تَتالى
على البتّ في حلبةٍ لن تتمْ
سوى أنْ نشيدَ بحُسْن المآبِ
ونتركَ سائرَه للذممْ
وما عُدتما اليوم في المزدحَمْ
لحسم القرارِ بلا او نعمْ
وجودُكما صار لا بدَّ منهُ
لإنقاذ عالمنا من عَدَمْ

٢٠٠٠/٨/٣

****

بين يدي الزمان(*)

جار في حكمه الزمانُ وحابى
عالَماً في غبائه فتغابى

في اختلاف اللونين بِيضاً وسُوداً
كعُداةٍ طوراً وطوراً صِحابا

واعتناقِ الحدودِ إنْ هي قَرّتْ
في مَراعٍ، أو هاجروا أسرابا

فاختراقٍ، ما كان في الأصل إلا
ثغراتٍ، أو للحداثة بابا

مَعرِضُ الحُلْمِ كالحقيقة، لولا
فاصلُ الجدِّ في التمثّلِ ذابا

فإذا الفنُّ ليس بالفنّ أصلاً
وإذا الرشدُ بانَ للرشد عابا

لم يعد فيه للمروءة شأنٌ
إنما الشأنُ فيه عاد انتسابا

بقُوى الأرضِ موطناً لغلوٍّ
طمس الحُسنَ جذوةً ورغابا

في طقوسٍ لها دلائلُ شتّى
لم يجاوز قصيُّها الأربابا

شهدتْ ظرفَها الشعوبُ غيابا
دام بين الحضورِ ظُفْراً ونابا

(*) هدية إلى ابني جليل لعمق وعيه.

لاذ في ظلها الجموعُ انصياعاً

واستمرَّ الوجودُ كالأمس غابا

لقضاةٍ يُحلّلون انتهاكاً

لولاةٍ تصول فيه ذئابا

وحماةٍ كم مارس الشرَّ بعضٌ

في حِماهم تَفرُّغاً واكتسابا

قد قضَوْها لقلّةٍ في نعيمٍ

كابدَ الأكثرون منها العذابا

بديونٍ ترعى النموَّ ربيعاً

فإذا بالشتاء أرسى الخرابا

هكذا بين سيّدٍ ومَسودٍ

ظلّتِ الناسُ تجهلُ الأسبابا

غيرَ أن الزمانَ كان سؤالاً

ما وعَوْا ردَّه ، وكان الجوابا

١١/٨/١٩٩٩م

****

إنسان، أي إنسان
باقة على قبر الراحل العظيم

بين الفـيّـتين عـهـدُكَ طابا

عشتَ للخَلْق في مَداهُ شهابا

هنّأتْكَ الوفودُ أصغرَ سِنّاً

حين وافتكَ شِرْعةً وانتدابا

عشتَ أندى يداً وأرحمَ قلباً

ولكُلِّ الجُموعِ أشرعَ بابا

لكانَ المصيرَ كان سراباً

تَيَّهَ العاثرون فيه المآبا

فأنرتَ الطريقَ حتى استبانوا

رشدَهم فيه روحةً وإيابا

يا لَذكراكَ إذ أصمَّ بكَ النا

عي ، وموتُ الحبيبِ جلَّ مُصابا

أنا في محنتي أذلُّ ليأسي

وتُناجي نفسي القضاءَ اكتئابا

كم رعاني إذ كنتُ أشكو زماني

في اغترابي ، وكم حباني اقترابا

كيف أنساه في ذُهوليَ «معنًى»

قد تحدّى به ، وما قطُّ خابا

لا تقلْ مات، لا يموت فقيدٌ

كان غَوْثاً ومَيْسماً وخِطابا

في شغاف القُلوبِ تلقاه وجهاً
رصدته الشعُوب دَوْماً مُهابا
أورث النهجَ بعد نَشْرِ وطَيٍّ
خيرَ اهْلِيه حكمةً وشَبابا
باخيه كسامس لا فرقَ يلقى
حَمَداً ، لا يغيبُ عنه جنابا
فهما اليومَ (ما تَغيبَ عنّا)
في حضورٍ - لا يفرضان حِجابا
لم يزل عالَمٌ يُراوغ سَلْباً
حسبُنا نتّقي الأذى إيجابا
حسبُنا روحُه تُكلّل طوراً
أخطا المغرضون فيه الصوابا
حسبُنا موطنٌ له دَوْرُ نجمٍ
نورُه ساطعٌ يغطّي الغُبابا
نحن فيه ونهجُه غيرُ خافٍ
لو يعمُّ الورى لَزاد ثوابا
وحدَنا في الخليج اغنى إخاءً
وعلى ضِيقه لأزكى رحابا
فعزاءٌ لنا جميعاً مُصاباً
وهناءٌ لنا جميعاً مَثابا

١٩٩٩/٦/١٠

****

الإنسان

فـيـــا من وعى كـــونَه في كـــيــانِهْ
كـــــــانَ لـه اثـراً فـي زمـــــــانِهْ
وانـتَ كـظـاهـرةٍ فـي مَـــــــــداهُ
من زبد الـبــــحــــرِ بعضُ جُـــمـــانه

هـنـا كلُّ شـيءٍ رهـينُ الـظـهـــــورِ
ولا حـيٌّ إلا بمـعـنـى الـحـــــضـــورِ
نـلـمُّ بـاحـــــــداثـه فـي ثـوانٍ
ونـلـغي الـقـــرونَ لبُطء المســـيـــرِ

اننعـاه مَـيْـتــاً؟ انرثيـه حَـقّـا
على الجَنْب في بعض مَـثـواه مُلْقى
ومـــاذا يُمـيِّــز - وَهْو الـغـــريقُ -
انْ عـــاشَ في الماء أو مـــات غَـرْقـا

الا لـيت لـلـحـيِّ شـــانـاً كـ «حَـيٍّ»
يُمـيِّـــزه بـعـــد نَشْــرٍ وطَـيٍّ
كـــفُـــقّـاعـــةٍ في مــهـبِّ الرياحِ
تـلاشـى امـــــام الـبِـلـى كـلُّ شَـيٍّ

١٩٩٦/٣/٣

****

مرآة عصرنا

أنتَ مـرآةُ عـصـرنا يا ابنَ عـيـسى
بكَ في العـصـر نحن أهنأُ قَـوْمـا
إن رثى النيّـرانِ في الظرف عـجـزي
منكَ عـذري بالصـمت يعـدل لومـا
يـحـسب المادحـون أنّهُمُ قَـدْ
بلـغـوا في المديح شـاوكَ دومـا
بينمـا الحقُّ - أنتَ مـا زلتَ تعلو
فـوقُ حـتى الذي تخـيّلتَ يومـا
أنتَ في حُلكة الدجى اليـومَ حُلْمٌ
إذ يغطّ الرعـاةُ حـولكَ نَوْمـا
إذ حـملتَ الميـثـاقَ فـينا ضـمـاناً
كـيف يرضى في عـهـدكَ الناسُ ضَيْمـا
لم أجـد في الملوك قـبلَكَ فـرداً
حـالفَ الغـربَ ثم باراه سَـوْمـا
كلُّ بابٍ طرقـتَـه كـان فـتـحـاً
ومـضـيقٍ عـبـرتَه كـان عَـوْمـا
إن تُجَـدِّدْ لكلّ سَـعيٍ لبـاسـاً
فـلأنّ النشـاط يفـرض حَـوْمـا

عشْ لدنيـــاكَ ســـائلاً ومُـــجـــيـــبـــاً

ولـدنيــا ســـواكَ صـــحـــواً وغـــيـــمـــا

يسند «العمُّ» في الجـــهـــاد خُطاها

بخـــيـــوطٍ تدور في الكون رَيْمـــا

لابنكَ المرتقى وقـــد قـــام فـــينا

مَـــثَـــلاً يُحـــتـــذى صـــلاةً وصَـــوْمـــا

٢٠٠٢/٥/١٦

****

أمـتــي(*)

يا امّـةً لم تجـاوز أمسَـهـا لغـدِ
كيف السبيلُ لكي تَنسي فتتحدي
كفى مكابرةً - ما تؤمنين به
ما غاب - مثلكِ - معنى الغيبِ عن أحَدِ
عايشتِ مطلعَ إرهابٍ، يُدان به
ذووكِ من قِدَمٍ، أدّى إلى بَدَدِ
ولا مُبرّرَ في تكفير بعضِهِمُ
بعضاً سوى ذلك الإدمانِ في «السند»
فلا المساجدُ تدعو من منابرها
إلى احترام حقوقِ الفردِ في البلد
ولا «الشهادةُ» تعني للجموع سوى
خُلْفٍ - تعالجه بالبطش والقَوَد
هيهات يحمد إنسانٌ جِوارَهُمُ
إن المهوّسَ فيهم بُغضُه أبَدي
كم عانتِ «القلّةُ العصماءُ» بينَهمُ
اذىً، وكم لبثوا في سجنِ مُضطهِد
وعشتِ يا امتي! لا تحفلين بنا
رعى احتفالُكِ دوماً كثرةَ العدد
ولا كعهدِكِ إذ تَمّتْ سيادتُهُ
في الخافِقَيْنِ - وباسم الدينِ لم يَسُد

---

(١) من وحي الإسلام التاريخي.

محا التخلّفُ ما سَنّ الجهادُ له
فبتَّ والدةً... رُوحاً بلا جسد
حقُّ الشعائرِ بالتقوى ، تُوجّهها
لله خالصةً - كالطائر الفَرِدِ
خُذي صداكِ، يُدوّي من مآذننا
هل قطُّ تضخيمُه أفضى إلى رَشَد؟
أنّى لشاهدهم تقويمُ ظاهرةٍ
كغُرّة الشهرِ بين السبت والأحد
أو المعارضِ إذ تزهو بثروتنا
ما قيمةُ الجمعِ لولا فضلُ مُقتصِدِ
أو ما يُقدّره في كلّ مُؤتمَرِ
حول الزعامةِ، مِشوارٌ لذي حسد
جميعُها قدوةٌ مُثلى لسائرها
وليس تَخفى مراميها على احد
لولا حقيقتُنا وَهْمٌ نلوذ بهِ
يا أمّتي لبلغناها يداً بيد
هُمُ بنوكِ وقد ناموا على حُلُمٍ
طال النهارُ به دون ارتيادِ غد
كأنهم إذ يرَوْن الحالَ خانقةً
تُلقي بمن شكَّ في دَوّامة العُقَد
وإذ مصمّمةُ الأزياءِ تُفْزِعهم
بموقفٍ لفتاة العصرِ مُنفرِدِ
عادوا سواسيةً، لا يملكون لها
إرادةً ، غيرَ فتوى أيِّ مُجتهِد

هنا، اعـــــدُّوا مع الأيام عِـــــدَّتَـهم

لخـــوض مـــاضٍ لـهم بـالـذكـــريات نَـد

واليــومَ... لا سُـورَ في الدنيــا على وطنٍ

إلا تَـســــــوَّرَه الإرهـابُ فـي رَصَــــــد

مــا أظلمَ الـدارَ تُـعــشي عينَ ســاكنهــا

عن جلـوة الكونِ في إســحـــاره الجُـــدُد

إن كــان هذا هـو الإســلامُ مُـــعْـــتـمِـــراً

فـيــا لوحـشــةِ من يشـقى مع الحـشـد!

١٩٩٩/٣/١٣

****

قصائد نظمها

الشاعر إبراهيم العريض

باللغة الإنكليزية

Life

1. In this glorious world
To the child, as you are,
Trying not to get far,
With wings unfuried,

Mum is no mum till she feeds you,
Dad is no dad till he heeds you,
But whatever his trend,
A friend is no friend,
Till he begins where others end:
He just speeds you!

2 - From behind the wall - daring all
Who could know - in and out
How he brings this about
In his rally, at his first call.
To quote what one wrote.
(deserving a jubilant vote)

" a bell is no bell till you ring it.
A song is no song till you sing it,
Love in your chest is not put there to stay,
Love is not love till you give it away,
And a heart in no heart till you wring it."

3. Light rays, human faith, global space,
Revealing both future and past,
With time's mystery face to face.
Screening time , watching life aghast,

Some, look in, where truth is lone
As life multiplying apace,
Beyond all doubts
Above all routs
Others seek, up there, what is gone
Why totally leaving no trace



4. Living today, in such fray,
While life to most is still a race
Playing games, having aims with an Ace
Breaking records, so to say,
To the blessed few,
(Be It ever so Gory)
Be not minding who plays,
But refining all his ways,
As with friends new,
Rests now the case,
Rests now the case,
No more life - is just glory
But grace?

(توقيع) E . A
إبراهيم العريض
Friday 15/3/2002
غرة محرم 1423
البحرين

****

IN LIFE

Of life have many sung in pure delight
Others to only grief have toll'd the knell
In life's great dome, some never could yet dwell
On life's sad end, Good God! Be it so slight

The humblest creature shares the warmth and light
Of Thy eternal love; nor doth the well..
Whose waters never to the tempest swell
Like the deep sea... Reflect the stars less bright.

Of love bereft we never could attain
This sweet unrest, this quickening breath in life;
Our candle dimly burns in dual flames
Of red and blue; and yet, let cease the strife
With shadows of one flickering flame, the pain
Is past and.. Darkness closes on our claims.

E . A (توقيع)
إبراهيم العريض
8/9/1933

*****

ULTRA - MODERN

How star - like are ye Bards of Yore! Alone,
You heard the silent music of the spheres,
And gave it living voice. Through smiles and tears,
Courting all mortals in their daily drone,

The thought, The magic touch, The manly tone
With which you season'd human hopes and fears
Were closely allied, naught to us appears,
In Truth, but interwoven with our own.

Alas! No more for us that inward bliss
Whose warmth is felt not seen, that inner glow
Akin to love; Nor dare we like them, even
Discern a right The lovely things we miss,
An artlessness which only Art can know.
No more that spark, giving a glimpse of heaven

E . A

إبراهيم العريض

10/12/1992

****

one day in June

Her shapely hand was raised, and waving still
    To those colourful columns filing past
    In all their pageantry, the sky was cast
With clouds, and rain kept pouring over sill

And pavement , packed with not a stand to fill,
    No bid to jostle, with the crowd so vast.
    "So then, you saw the Queen, my dear.. At last?"
Said I. "you bet" she said. With what a thrill

She saw her Queen go by.. So sweet and fair
    For all to see and bless . After her night
Of waiting in the open, with drenched hair
    And drooping eyes, she played a glorius part:
    Say not the Day was cold and not so bright,
    For all the warmth of summer was in her heart.

E . A

إبراهيم العريض

7/7/1953

****

قصائد نظمها

الشاعر إبراهيم العريض

باللغة الأوردية

وترجمها إلى العربية وهي بخط يده

المسلمون

أَيُّهُنَّ مَلَايِينُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَالَمِ وَهُمْ فِي شَأْفَةِ ابْتِدَاعِ أَنْفُسِهِمْ ...
... بَيْنَمَا لَهُمْ يَلْتَقُونَ أَنَّهُمْ بِدِينٍ

تھا خواب یہ مسلمانوں کا رہیں اپنی سنت سے — یہ کیا عالم ہے کرتے رشتہ داری جو رہے خود ہیں

القيامة

تُظِلُّ يَوْمَ يُحْشَرُ النَّاسُ فَتُنْفِقُ — فَنَظَائِرُهُمْ يُخَاطِبُنِي الرُّؤُوسُ . يَا لَلْخَجَلِ مِنَ الْجَمِيعِ

غضب ہے! حشر میں ہم ہی اکیلے — انہیں سب سے پشیماں کیسے کیے

الربيع

لِمَ لَا أُذَلِّلُ بِتَرْصِيعِهِمْ يَا قَلْبُ إِنَّمَا الْمَعَانِي هُمْ يُرَصِّعُونَ
مَا لِلرَّبِيعِ وَلَكَ يَا قَلْبُ خَضْرَاءُ مِثْلُهُ مَرَاحَاتُكَ

نہ کیوں میں جھوم کے گاتا نشر یہ نغمے بھی بکھر گئے ہیں — بہار آئی تو کیا جب زخم دل اپنے ہرے خود ہیں

الحياة

كَثِيرُونَ هُمُ الْأَحْيَاءُ — إِنَّمَا حَيَاتُهُمْ لَا تَتَجَاوَزُ الْإِحْصَاءَ

ویسے زندہ تو ہیں بہت — جنکا جینا مسا ہے

ذكرى

آن الأوان لنا نتطلع وإياهم إلى لقاء مناجاة هنا
مالهم يحضروننا في موعد صادقين ؟

ملنا ہے اس کہیں تنہا مناجات سے ان کے ساتھ
کیسے ہیں کیوں، وہ آج ملنے کیلئے، کچھ نہیں

الفن

يا بؤس أهله ! صوت ساقيها في قبضة الطرب
فصار له أن يلتمس ثمن الدواء

بیچتی آواز سے دوا کے لیے
دکھ کی انمول لے لگی کیوں ہے

الإنسانية

أجمع الإنسان بالإنسان ،، أكرمها الإنسانية بالمرء
تورثت ضيمها زهرة الأبناء بالألوان ، لم تشبع بأيديها ولا تثمر

ملے انسانیت ملی بھی نہیں
تنگ لاکر وفا کھلی بھی نہیں

الحقيقة

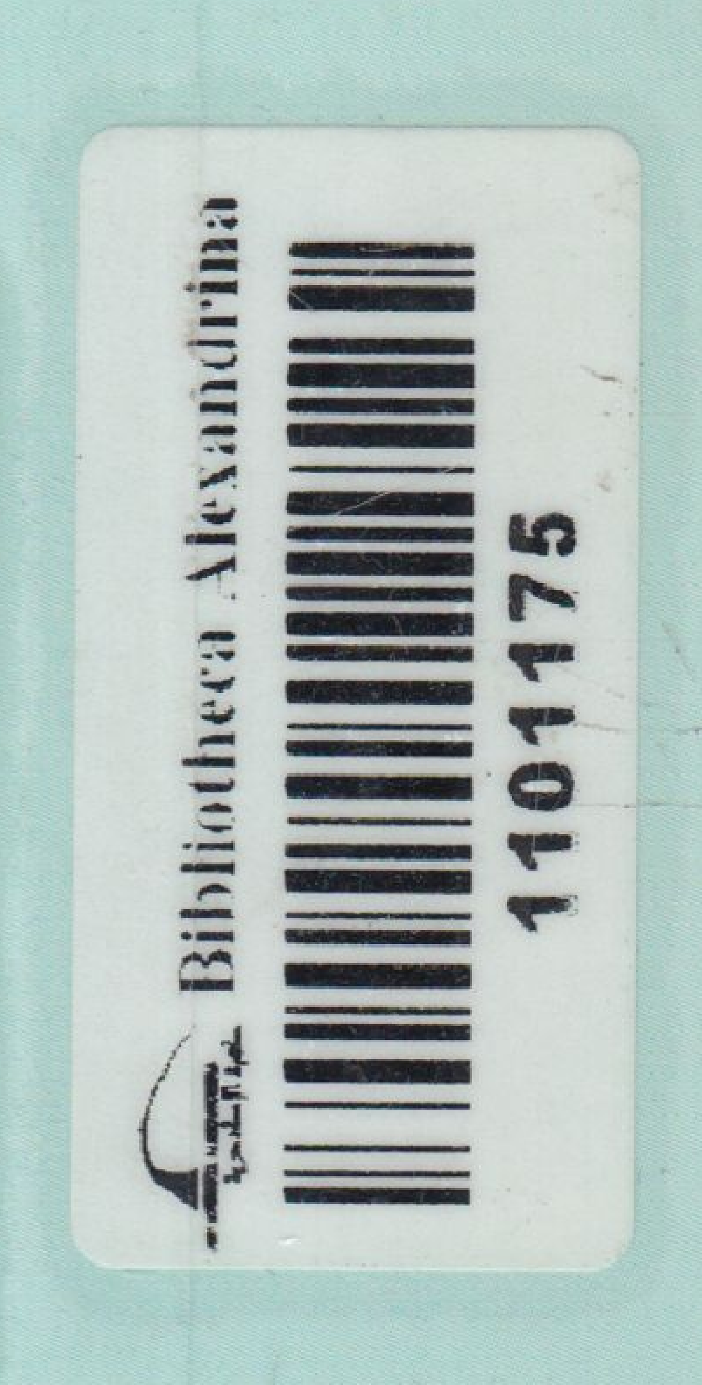
الحقيقة ! يراها الراءون عيانًا اليوم . ويتجددون في أسمائهم منذ الحقب مطلقًا ما يرون

آج جو کچھ دکھائی دیتا ہے
کل سے سچ ہو کر گیا ہے

الفهـــرس

****

مطبعة الكويت
AHLIA MEDIA
الشركة الأهلية للخدمات الإعلامية
تلفون : 4747518 - 4744412 - 4726322 (965)
فاكس : 4762405 (965)





مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

2002